الإسلام والشباب

١

رعاية الإسلام للشباب

الشيخ منصور الرفاعى عبيد
وكيل وزارة الأوقاف الأسبق
للمساجد وشئون القرآن

الدار الثقافية للنشر

عنوان الكتاب : رعاية الإسلام للشباب
اسم المؤلف : منصور الرفاعى عبيد
14 × 20 سم . 128 ص .
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية : 2000/16557
اسم الناشر : الدار الثقافية للنشر

Reiat Al-Eslam
Mansour Obied
14 x 20 cm.128 p.
ISBN: 977- 339 - 016 - 0

الطبعة الأولى

1422 هـ/ 2001 م

الدار الثقافية للنشر - القاهرة
ص.ب 134 بانوراما أكتوبر 11811 - تليفاكس 4172769 - 4035694
Email: nassar@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿ نَحْنُ نَقُصّ عَلَيْكَ نبَأهُم بِالْحَقّ إنّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف : ١٣] .

(قرآن كريم)

وعن الرسول ﷺ أنه قال :

«اغتنم خمسا قبل خمس . شبابك قبل هرمك . وصحتك قبل سقمك . وغناك قبل فقرك . وفراغك قبل شغلك . وحياتك قبل موتك »

(حديث شريف)

الفهرس

مقدمة

الحمد لله : نحمده ونستهديه ونؤمن به ونتوكل عليه : ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير وأصلى وأسلم على سيدنا محمد الذى بعثه الله رحمة للعالمين : فدعا الناس لعبادة الله بالموعظة الحسنة فآمن به واجتمع من حوله نخبة طيبة من أسلافنا الغر الميامين تفهموا الدعوة وآمنوا بها وتحملوا العذاب في سبيلها : وصبروا ابتغاء وجه الله وساد السلام على وجه الأرض على أيديهم وكانوا قدوة صالحة وعناصر رائدة فى فعل الخير أمام الإنسانية بأسرها فرضى الله عنهم : وجزى الله نبينا أفضل ما جزى نبياً عن أمته أما بعد .

فإن الشباب فى كل أمة هم أملها لمستقبلها السعيد وذخيرة الوطن للغد المشرق ، فيهم يتجسد الرجاء لغد مرموق يزخر بكل مقومات العزة والسيادة ويتحقق هذا إذا أهل الشباب من الصغر لتحمل المسئولية وعود على التخلق بالأخلاق العظيمة ودرب على التمسك بالمبادىء الفاضلة ونحن نعلم أن العقيدة الصحيحة سلاح قوى إذا تسلح بها الإنسان تغلب على مشاكله وخاصة الشباب إذا تمسكوا بها كانت لهم قوة الإرادة يخدم الواحد منهم أمته ويقدم نتاج فكره وثمرة عمله وتحصيله للعلم والمعرفة بروح الإيمان إلى أبناء جنسه ، وتاريخنا الإسلامى يقدم نماذج بشرية للشباب كقدوة طيبة بعد رسول الله ﷺ الذى دربهم على القيادة والريادة

بعد أن سلحهم بالخلق والعقيدة وحسن الصلة بالله :

ففى مجال القيادة الحربية نذكر أسامة بن زيد الذى تولى قيادة جيش كبير وسنه أقل من عشرين عاماً ، وكان تحت إمرته الكثير من الرجال والأبطال كأبى بكر وعمر وليس فى هذا انتقاص لقدر هؤلاء الرجال المشهود لهم بالكفاءة ، ولكن هذا تكريم للشباب وتدريب له على القيادة بحيث لو أخطأ يوجه الوجهة الصحيحة ويعد لتحمل المسئولية فى المستقبل .

وفى مجال العمل الدبلوماسى نذكر مصعب بن عمير الذى كان من أنعم الشباب وأطرفهم ، لأنه الولد الوحيد لأب ثرى وأم غنية وولد ، وكما يقال (الملعقة الذهبية فى فمه) وكانت بيوت قريش تتمناه أن يدخل إليها لأنه الوجيه الوسيم صاحب الرائحة الطيبة النفاذة والجيوب المملوءة بالمال : وما أن اعتنق الإسلام حتى ركل كل هذا بقدمه وأقبل على الله بنفس لوامة وقلب خاشع وعمل متواصل لخدمة الإسلام والمسلمين : ولقد انتدبه الرسول ﷺ لعمل هام وهو بلغة عصرنا (التمثيل الدبلوماسى فى بلد آخر) : وقام مصعب بهذا العمل بكفاءة ومهارة ، وهو الذى لم يتدرب فى مدرسة ، ولم يتخرج من كلية سياسية ولكنه تخرج من جامعة الإسلام وتتلمذ على القرآن ، ولذا نجح فى مهمته ووفق فى أداء الواجب المنوط به : إن القيم الاخلاقية كفيلة بأن تجعل الإنسان يتبوأ مكان الصدارة بين أفراد جنسه وفى نفس الوقت تنهض بالمجتمع وتبوؤه مكان الرقى بين الأمم .

وإن أى أمة تريد أن تنهض من كبوتها عليها أن تعد شبابها لتحمل

المسئولية بروح الجد ، والإخلاص وأن تعودهم منذ الصغر على تعشق سير الأبطال العظام الذين خدموا الإنسانية وأسهموا فى رقى البشرية وأستاذ هؤلاء جميعاً هو سيدنا محمد الرسول الأمين الصادق العظيم الوفى لأصحابه ، ثم هناك من بعده شخصيات فذة عقمت الإنسانية أن تأتى بمثلها كعمر بن الخطاب الذى قاد أمة حكمها بالعدل ووضع لها من القواعد والضوابط ما تأخذ به الإنسانية فى مجتمعنا المعاصر ، وتنسبه إلى غيره ظلما وعدوانا وهناك الحباب بن المنذر القائد الحربى العربى العظيم الذى يعرف كيف ينتصر الجيش فى صحراء قاحلة وهكذا لو ذهبنا نسرد لطال بنا الحديث - ولكن نقول لشبابنا أنتم أمل الأمة المرجو فعليكم أن تدرسوا تاريخكم بعقل مفتوح وقلب واع وبصر لا يزيغ ثم على الواحد منكم أن يحصن قلبه باليقين ، وأن يعمر صدره بالإيمان وأن يسلح نفسه بالعقيدة ، فإن فعلتم ذلك كان الخير لكم ، والسعادة فى الدنيا من نصيبكم واطمئنان النفس وهدوء البال يلازمكم والفلاح فى الآخرة يتحقق لكم ولنسمع إلى قول الحق سبحانه ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ﴾ [محمد : ٢] .

فليكن لنا يا شباب أمل فى الله ورجاء مع تحمل المسئولية بجدارة ولنحذر التسيب فإن ذلك يؤدى إلى الفشل والعياذ بالله .

والذى ستطالعه فى هذه الصفحات هو محاولة مخلصة للإسهام فى بيان ما للإسلام من فضل فى حل الكثير من المشكلات لأن البعض يرمى بالعيب دائماً على الإسلام ، ويعيب على المسلمين لتمسكهم بدينهم

وهؤلاء يخطئون لأن الإسلام برىء من العقول القاصرة التى لا تتفهم حقائقه ، والإسلام عقيدة وعمل ، لا يقر السلبية فى حياة الناس ولا يرضى أن تكون من خلق أتباعه ، لهذا حاولت فى الفصل الأول أن أبين الأسرة التى ينشأ فيها الشاب والمقومات التى تنهض به وتؤهله للقيادة والريادة إذا تمسكت الأسرة بأسباب الخير ، وتعرضت فى هذا الفصل لمنزلة الأم واختيارها كزوجة وشريكة فى أول الأمر ولرأى الإسلام فى كل هذا .

وفى الفصل الثانى حاولت أن أبين بعض المناهج الصحيحة والتوجيهات الرشيدة والإجابة على بعض الأسئلة التى يتعرض لها كثير من الشباب ، والله أسأل أن يتقبل هذا العمل لوجهه الكريم .

وما كان فيه من خير فهو من فضل الله على وما كان من قصور فهو منى وما أبرىء نفسى ولكن حسبى أننى اجتهدت وقصدت الخير لذات الخير .

وأضرع إلى الله الكريم فى خشوع وخضوع ﴿رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه .

الفصل الأول
رعاية الإسلام للشباب

الإسلام هو كلمة الله الخالدة للبشرية بأسرها . ورسول الله الخاتم هو - سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ . والقرآن الكريم هو دستور الإسلام وقانون السماء لأهل الأرض وهذا الكتاب هو المهيمن على جميع الكتب السابقة حوى كل خير للإنسان . من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم .

وقد جاء لإسعاد البشر جميعاً إذا هم التزموا بآدابه وعملوا بأحكامه وساروا على الطريق الذى وضحه رب العالمين الذى هو أرأف بالإنسانية من الأم بوليدها : والإسلام هو دين السمو النفسى والكمال الخلقى وضع قوانين واضحة لرعاية الإنسان منذ مولده إلى انتهاء حياته : فى كل لحظة من لحظات الإنسان طوال حياته نجد للإسلام رأيا يأخذ بيده إلى الكمال ويسمو به فوق الغرائز ويحلق به فى عالم الطهر والعفاف وأهم مرحلة فى حياة الفرد هى مرحلة الشباب التى يكون فيها الشخص بحكم طبيعته فى عنفوان القوة والحيوية . والشاب قبل ذلك ينشأ فى أسرة لها أوضاعها كما أنها لها عادات وتقاليد . وينشأ الطفل فى مخيلته ويلتصق بذهنه فيشب على ذلك . ولذا قالوا . الطبع يغلب التطبع . لأن ما انطبع فى ذهنه صار هو ما يؤثر عليه فى سلوكه وما

يدفعه إلى العمل لأنه من شب على شيء شاب عليه .

يقول الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

فالطفل يقلد الأب والأم فإذا صار شاباً كانا هما الأسوة والقدوة له فى نظره . ولذلك كان من قول المشركين لرسول الله ﷺ كما حكى القرآن عنهم . ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ آبَاءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف : ٢٢] ذلك لأن الشيء الذى انطبع فى قلب الإنسان وهو صغير شب معه وهو كبير . والله سبحانه وتعالى قد ميز الإنسان بالعقل وفضله على كثير ممن خلق ليعقل الإنسان الخير من الشر وليتبين الصواب ويسير على الطريق المستقيم الذى يوصله إلى السعادة الدنيوية ، والفلاح فى الآخرة . والإسلام يمهد للشاب الطريق حتى يكون فى مأمن من الانزلاق والانحراف وأول الطريق الأسرة التى يعيش الشاب فى جنباتها ويحيا فى رحابها ويقلد أكبر الأعمار فيها لذلك اهتم الإسلام بتلك الأسرة وبين لنا ما يجب عمله حتى نضمن أسرة طيبة صالحة ينعم الشاب أو الشابة فى رحابها ويجد كل مأمنه وهدوء نفسه وراحة باله .

الأسرة

هى أساس المجتمع واللبنة الأولى في بنيانه . بصلاح الأسرة يصلح المجتمع وبفسادها وتدهورها يتصدع المجتمع . والدين الإسلامى جاء لتكوين مجتمع فاضل لتحقق من وراء ذلك سعادة الفرد والجماعة ولن تتأتى السعادة إلا إذا كانت اللبنات قوية واللبنات أساسها الأسرة وعماد الأسرة الزواج الذى ينشأ عند عقد يباركه الله سبحانه قال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاءَ كَرْهاً وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْراً كَثِيراً . وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً . وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقاً غَلِيظاً﴾[النسا : ١٩ - ٢١] والميثاق الغليظ كما روى عن ابن عباس رضى الله عنهما هو - العقد - وكما روى عن أنس - أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمة الله وكما روى عن النبى ﷺ فى خطبة الوداع . واستوصوا بالنساء خيراً فإنكم أخذتموهن بأمانة الله . واستحللتم فروجهن بكلمة الله (تفسير ابن كثير ج١ ص٤٦٧) .

وقال الله سبحانه : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾

[الروم : ٢١] فالغرض من الزواج هو إيجاد الهدوء النفسى والسكن القلبى وتحقيق المشاركة الوجدانية وتكوين مجتمع صغير يجد فيه الإنسان راحة فؤاده واستقرار نفسه ويشعر الإنسان من وراء ذلك بتجدد حياته فى ثمرة الزواج وهو إيجاد الولد الذى سيكون امتداداً لحياته وذلك من نعم الله علينا حيث يقول : «والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات» .

ومن الحكم التى تتردد على الألسنة حكمة فرعونية «أن الرجل يكون حكيماً عندما يؤسس لنفسه منزلا ويحب زوجته» . وتأسيس البيت وحب الزوجة لن يتم المراد منهما على الوجه الأكمل إلا إذا تخير الرجل المرأة التى يقترن بها ويساهم معها فى تأسيس البيت ووضع الدعائم القوية لهذا البيت على أساس من الخلق والفضيلة وتكون الزوجة متدينة ناشئة فى بيئة طيبة صالحة وأسرة متماسكة وجو يسوده الأمن والوفاق ، وقد أرشدنا القرآن وهو دستور المسلمين إلى أن نتخير المرأة الفاضلة عند الزواج قال الله تعالى ﴿ وَأَنْكِحُواْ الأَيَامَىَ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمائِكُمْ ﴾[النور : ٣٢] وقال سبحانه : ﴿ وَلأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ﴾ [البقرة : ٢٢١] وقال سبحانه : ﴿ الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور : ٣] .

وقد جاء هذا فى بيان المرأة المعوجة السلوك لأنها لا تؤتمن على أسرار بيت نظيف وأسرة طاهرة لأن الإسلام يضع الطهر والفضيلة فى مقدمة الأشياء جميعها وخاصة عند تكوين الأسرة التى هى اللبنة الأولى

فى بناء المجتمع ، والرسول ﷺ يقول "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنها حفظته فى نفسها وماله" ذلك لأن الزوجة الفاضلة هى التى تعين على طاعة الله ، وتأخذ بيد زوجها الى كل خير وتنهاه عن كل شر ، وتكون قانعة بما لديها من مال وبما قسم الله لزوجها من رزق ولا تطالب زوجها بما ليس فى قدرته أو تدفعه إلى السرقة أو أخذ الرشوة أو ما شاكل ذلك وإنما يعصمها دينها ويحول بينها وبين الشر والفساد ولذلك ورد أن المرأة فى صدر الإسلام كانت تمسك بتلابيب زوجها عند خروجه فى الصباح وتقول له : يا هذا إياك والحرام فإنا نصبر على الجوع والعطش ولا نصبر على نار جهنم فى يوم مقداره ألف سنة وهناك لا ينفع مال ولا بنون . . وفى الأثر سيأتى على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وولده ، وذلك أنهم يعيرونه بضيق المعيشة فيضطر للسرقة ، أو أخذ الرشوة حتى يوردوه موارد الهلاك وفى هذا يقول الحق سبحانه ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾ [النساء : ٣٤] ويقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه : « تنكح المرأة على إحدى خصال . لجمالها ومالها ، وخلقها ، ودينها . فعليك بذات الدين والخلق تربت يداك » . وفى رواية أبى هريرة رضى الله عنه : «تنكح المرأة لأربع . لمالها . ولحسبها . ولجمالها . ولدينها ، فاظفر بذات الدين تربت يداك » وهذه الخصال ترغب فى الزواج ونظرا لأن الدين يحصل به خير الدنيا والآخرة فضل على غيره ورغب فيه وإذا اجتمع الدين مع أى خصلة أو الخصال

كلها فلا مانع المهم أن يكون هناك عنصر الدين والخلق والفضيلة لأن هذا فيه صلاح الحال والاستقرار المنشود ، ولهذا روى أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ «من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله إلا دناءة ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه » .

ولذلك ورد فى الأثر . إياكم وخضراء الدمن . قالوا وما خضراء الدمن . قال : المرأة الحسناء فى المنبت السوء . والمراد بالمنبت السوء البيئة الفاسدة تنشأ فيها المرأة فيؤثر ذلك فى سلوكها وحياتها .

موافقة الزوجة

إذا كان الرجل يطلب المرأة العفيفة ويبحث عنها ليتخذها زوجة له تدبر له بيته وترعى شئونه وتنجب له الأولاد ، فالمرأة كذلك لها أن تقبل الزواج من الذى تقدم إليها أو ترفضه لأن الزواج يقوم أولاً على التوافق والتجانس واتفاق الميول وقد ورد أن خنساء بنت خذام الأنصارية لقيت النبى ﷺ وذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة فجعل أمرها إليها ، والإسلام ينهى أن يفرض على الفتاة أو المرأة رجلا معيناً ولو كان الذى يفرضه عليها أبوها أو أخوها أوعمها . كما أن أهلها ليس لهم أن يعترضوا رغبتها فى رجل معين مادام كفؤا مناسباً . يقول النبى ﷺ «الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن فى نفسها وإذنها صماتها » ويستفاد من ذلك أن رضا المرأة البالغة لابد منه سواء أكانت بكراً أم ثيباً إذا كان الزوج صالحاً لأن ذلك أدعى إلى الاستقرار يقول النبى ﷺ «إذا أتاكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » لأن صاحب الدين والخلق يحسن العشرة ويتحمل الأذى ويرعى أسرته ويحافظ على بيته ، والمرأة العربية كانت إذا ذكر لها عن خطيبها ما يهجنه أو وصف بما ينبو عنه الطبع ردت خطبته ، وليس لأهلها أن يستاقوها قسرا إليه ، وعندنا مثل من ذلك الخنساء بنت عمرو

ابن الشريد ـ الشاعرة المعروفة أبت أن تساق إلى دريد بن الصمة ، وكان سيد قومه وفارسهم وشاعرهم لأن بينهما من تفاوت السن ما يكدر صفو الحياة . لأن الزواج المبنى على التقارب يكون ناجحاً ، وقالوا إن الحارث بن سليل الأسدى زار علقمة بن حفصة الطائى ، وكانا حليفين وكلاهما سيد قومه ـ فأبصر ابنته الزباء ـ وكانت كأجمل أهل دهرها . فخطبها إليه فقال له علقمة : أنت كفء كريم يقبل منك الصفح ويؤخذ منك العفو . فأقم ننظر فى أمرك ، وأبى أن يقطع القول له . ثم انكفا إلى أمها فقال لها . إن الحارث بن سليل سيد قومه حسباً ومنصباً وبيتاً وقد خطب إلينا الزباء فلا ينصرفن إلا بحاجته . فنهضت الأم إلى ابنتها ، وأنشأت تؤامرها ـ أى تشاورها ـ فى أمر الحارث . وكان الحارث شيخاً لا شباب فيه . فكان أول ما بدأتها أن سألتها أى الرجال أحب إليك الكهل الجحجاح . أى السيد ـ الواصل المناح ـ أى كثير العطاء ـ أم الفتى الوضاح ـ أى الجميل ـ وهنالك تجاذبا الحديث فى أيهما أمثل بالفتاة وأولى لها ، وكل يؤثر رأيه ويضرب الأمثال فى نفاذ قوله . على أن الأم كانت أدل بحجتها فنزلت ابنتها دون رأيها . فهل رأيت مدى فى الحرية أبعد من هذا [1] وإذا كان الرجل يبحث عن المرأة التى نشأت فى بيت أصيل ليكون فيها كرم المنبت ، وجلال الخلال فإن المرأة كذلك تختار الرجل لسناء قدره وشرف همته ، ويوضح ذلك ما حدث من سيدتنا خديجة رضى الله عنها عندما وصف لها سيدنا محمد ﷺ وما كمله الله به من أدب طاهر وخلق عظيم ، وصدق فى الكلام وما اشتهر به من أمانة مما

---

(١) كتاب أمثال أبى هلال ص١٨٣ .

حملها على أن تخطبه لنفسها وكانت أكرم زوجاته عليه وأبقاهن أثراً عنده ﷺ.

وشبيه بهذا ما تحدثوا أن بنى كنانة توقعت غارة يفجؤها بها بعض الضاربين حولها من القبائل فخرجت إحدى كرائم الحى وجلست بين صواحب لها . ثم دعت وليدة من ولائدها وقالت ، ادعى فلانا فدعت لها رجلا من الحى فقالت له . إن نفسى تحدثنى أن خيلا تغير على الحى فكيف أنت إن زوجتك نفسى . قال أفعل وأفعل ، وجعل يطنب فى وصف نفسه ويفيض ، فقالت له انصرف حتى أرى رأيى . وأقبلت على صواحبها فقالت ليس عنده غناء : ادعى لى فلاناً . فدعت آخر . فخاطبته بمثل ما خاطبت صاحبه . وأجابها بمثل جوابه . فصرفته . ثم قالت للوليدة : ادعى لى ربيعة ابن مكدم فقالت له مثل قولها للرجلين قبله . فقال لها إن أعجز العجز أن يصف الرجل نفسه ولكنى إن لقيت أعذرت وحسب المرء غناء أن يعذر [1] . فقالت له . قد زوجتك نفسى فاحضر غدا مجلس الحى ليعلموا ذلك . فلما كان الغد تزوجها وخرج من عندها ودافع الخيل ورد كيد المعتدين (المرأة العربية ج أول - ص٥٤).

وإنما سقنا ذلك لنبين أن بعض الناس يبنون بيوتا فى الخيال ويحلمون بالوهم وهم يعيشون على هامش الحياة فهؤلاء يرفضون لأن الزواج المبنى على المصارحة والتفاهم يدوم ويثمر وإذا كانت الفتاة التى تنشأ بين أم كريمة وأب كريم . أحلها أبوها موطن الرعاية والإكرام ، وربتها أمها

(١) والمقصود أنه يصد العدو ويجاهد قدر استطاعته حتى لا يوجه إليه اللوم .

وهذبتها وزودتها بزاد من الأدب والفضائل . ليس من الحق أن يضيع كل ذلك عند زوج مضيع لئيم يغدر ويهجر ويقصر فى الواجب ويستبيح لنفسه ما لا يتفق ووضع الأسرة ، وإذا رأيت الرجل يغشى مواطن السوء ويرتاد بؤر الفساد فأشفق على زوجه أن يصيبها ما أصابه ، ونحن نعلم أن سيرة الرجل فى نفسه هى الجزء الأكبر من عرضه ومن فرط فى النصيب الأوفر أوشك أن يتبعه بالأقل ومن لا أمانة له فى نفسه لا أمانة له فيمن سواه ، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى ذلك حيث يقول : ﴿الزَّانِي لاَ يَنكِحُ إِلاَّ زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إِلاَّ زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور : ٣] ومن الأمثال . أن الطيور على أشكالها تقع ، ومن أمثلة العرب . الأزواج ثلاثة : زوج مهر ، وزوج بهر ، وزوج دهر أما زوج مهر فرجل لا شرف له يسرف فى المهر ليرغب فيه كأن يقدم الشبكة خاتم صفته كذا وثمنه أكثر من ألف جنيه ثم شيك وسيارة وكذا من الهدايا كل ذلك ليرغب الزوجة وأهلها فيه يغريهم بالمال لأنه خسيس لئيم وأراد أن يغطى خسته بالمال ، ومثل هذا ذواق للنساء لا تدوم عشرته ولا تحلو الأيام معه لأنه يستعبد المرأة ويذلها بما قدم من مال ، (وكل إناء بما فيه ينضح) . وأما زوج بهر ، فالزوج الشريف الطيب الأصيل وإن قل ماله تتزوجه المرأة لتفتخر به ، وأما زوج دهر فالزوج الكفء الذى لا عيب فيه .

والزوجة الكريمة كانت تقوم أمها بوصيتها لأنها ستنقل من بيت إلى بيت آخر فلابد أن تزودها الأم بنصائح . ولقد خطب الحارث بن عمرو ملك كنده . بنت عوف بن محلم الشيبانى فلما كان يوم بنائه بها قالت

لها أمها . أى بنية إن الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك . ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل . ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتها إليهما كنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن ولهن خلق الرجال . أى بنية . إنك فارقت بيتك الذى منه خرجت وعشك الذى فيه درجت إلى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه . فكونى له أمة . يكن لك عبدا واحفظى له خصالا عشرا يكن لك ذخرا . أما الأولى والثانية فالخضوع له بالقناعة ، وحسن الطاعة ، وأما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح وأما الخامسة والسادسة . فالتفقد لوقت منامه وطعامه . فإن تواتر الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة . وأما السابعة والثامنة . فالاحتراس بماله والإرعاء على حشمه وعياله . وملاك الأمر فى المال حسن التقدير وفى العيال حسن التدبير . وأما التاسعة والعاشرة . فلا تعصين له أمرا ولا تفشين له سرا فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره . ثم إياك والفرح بين يديه إن كان ترحا . أى حزينا - والترح بين يديه إذا كان فرحا . فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير . وكونى أشد ما تكونين له إعظاما يكن أشد ما يكون لك إكراما . وأشد ما تكونين له موافقة يكن أطول ما يكون لك مرافقة واعلمى أنك لا تصلين الى ما تحبين حتى تؤثرى رضاه على رضاك وهواه على هواك فيما أحببت أو كرهت والله يخير لك . ثم احتملت إليه فعظم موقعها منه وولدت له الملوك السبعة الذين ملكوا بعده اليمن [١] .

---

(١) العقد الفريد ج٢ ص٢٧٢ .

وجاء فى كتاب (بلاغات النساء ص٩٢) أن النعمان بن المنذر تزوج أربعا من أربع قبائل تأييدا لعرشه وتثبيتا لملكه . واحدة أنمارية ، والثانية سلمية ، والثالثة نمرية ، والرابعة أسدية . فقال للأولى ، ما أوصتك به أمك . فقالت : قالت لى : عطرى جلدك ، وأطيعى زوجك ، واجعلى الماء آخر طيبك .

وقال للثانية : ما أوصتك به أمك . فقالت : قالت لى . لا تجلسى بالفناء . ولا تكثرى المراء واعلمى أن أطيب الطيب الماء .

وقال للثالثة : ما أوصتك به أمك . فقالت : قالت لى . لا تطاوعى زوجك فتمليه ولا تعاصيه فتشكيه . واصدقيه الصفاء واجعلى آخر طيبك الماء .

وقال للرابعة : ما أوصتك به أمك . فقالت : قالت لى . أدنى سترك وأكرمى زوجك ، واجتنبى الإباء ، واستنظفى الماء .

وكأنى ألمح بعض القراء الكرام يقول ما لنا ولهذا والموضوع موضوع الشباب . فأقول له مهلا ، أخى الكريم . فالذى ينجب الشباب إنما هى الزوجة التى ينشدها الإنسان ليكون على بينة من أمره وقد سقنا لك هذا لتعرف أن الآباء زودونا بالكثير من التوجيه ليستقر البيت ويهدأ الإنسان وينعم فى حياته . ولذا قال الحق سبحانه : يشير إلى ذلك ﴿ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور : ٢٦] وما أشار إليه الشاعر العظيم حافظ إبراهيم عندما قال مشيرا الى المرأة الأصيلة الفاضلة وما يجب فى حق الآباء نحوها :

من لى بتربية النساء فإنها ... فى الشرق علة ذلك الإخفاق
الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق
الأم روض إن تعهده الحيا ... بالرى أورق أيما إيراق
الأم أستاذ الأساتذة الألى ... شغلت مآثرهم مدى الآفاق
أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا ... بين الرجال يجلن فى الأسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع ... يحذرن رقبته ولا من واق
يفعلن أفعال الرجال لواهيا ... عن واجبات نواعس الأحداق
فى دورهن شئونهن كثيرة ... كشئون رب السيف والمزراق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا ... فى الحجب والتضييق والإرهاق
ليست نساؤكم حلى جواهر ... خوف الضياع تصان فى الإحقاق
ليست نساؤكم أثاثا يقتنى ... فى الدور بين مخادع وطباق
تتشكل الأزمان فى أدوارها ... دولا وهن على الجمود بواقى
فتوسطوا فى الحالتين وأنصفوا ... فالشر فى التقييد والإطلاق
ربوا البنات على الفضيلة إنها ... فى الموقفين لهن خير وثاق
وعليكمو إن تستبين بناتكم ... نور الهدى وعلى الحياء الباقى

الإنسان عندما يتخير المرأة لتكون زوجة له وأما لأولاده فقد هيأ المناخ لإصلاح الأرض الطيبة التى تنبت النبت الكريم ولذا ورد فى الأثر. تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس. أى تخيروا الإنسانة الصالحة ذات الدين والأخلاق التى شبت فى بيت طيب وأسرة صالحة لأن العرق ينزع أى الطباع يكون لها أثر فى تكوين الجنين وتربيته.

البدء

يبدأ تكوين الإنسان فى بطن أمه جنينا نتيجة اللقاء بين الذكر والأنثى يقول الله سبحانه " أيحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى " . وحديث رسول الله ﷺ بين أن الإنسان يبقى فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، وتلك مائة وعشرون يوما ينفخ فيه الروح بعدها يقول النبى ﷺ : إن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل الله إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات . يكتب رزقه وأجله وعمله وشقيا أو سعيدا ، وجاء فى حديث آخر أن الملك يسأل ربه أذكر أم أنثى . هذا وأقل الحمل ستة أشهر وغالبه تسعة أشهر وأكثره أربع سنين . وقد أشار القرآن الكريم فى كثير من آياته إلى خلق الإنسان لأن ذلك آية تدل على قدرة الله . قال الله سبحانه : " هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون " .

والطفل فى بطن أمه بضعة منها لأنه فى أحشائها تكون ، ومن دمها ولبنها تغذى ، وفى حجرها ينشأ وبين أحضانها ينمو . ولله در القائل :

كـون الله فـي الحشـايـا جنينـا	بعنـايـات ربه مـشـمـولا
فعظـامـا وقـد كسـاهـا بلحم	وعـروقـا فكـان حملا ثقيلا
تـصنع الأم مـا تـشـاء ولكـن	عليـهـا محـافـظـا ووكيلا
فـإذا صـار جـوفهـا منه خلـوا	صـار بـالحب قلبهـا مـشغـولا
بـيـته حجـرهـا ولله بـيـت	لا يـريـد الـرضيع منه بـديلا
ولـه بـين أمـه وأبـيـه	منـزل فيه يكـرمـان النـزيلا

وقد جعل الإسلام للابن حقوقا فى عنق والديه بعد ولادته مباشرة . منها :

١ - الرضاع - قال الله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

قال فى المنار عقب هذه الآية ، أن لبن المرضع يؤثر فى جسم الطفل وأخلاقه وسجاياه ولذلك يحتاط فى انتقاء المراضع ويجتنب استرضاع المريضة والفاسدة الأخلاق والآداب أ. هـ. والأم هى التى تحسن رعاية المولود وتصبر على هذه العناية ، وقد تقرر طبيا وشوهد حسيا تأثر الرضيع بلبن المرضع فى تركيبه الجسمانى وخلقه النفسانى .

٢ - أن يؤذن بأذان الصلاة فى أذنه اليمنى ثم تقام الصلاة بألفاظ الإقامة فى أذنه اليسرى فقد روى ابن السنى عن الحسين بن على رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : من ولد له مولود فأذن فى أذنه اليمنى وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أم الصبيان .

٣- أن يختار له الاسم الحسن . فعن رسول الله ﷺ أنه قال . " حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ، وأن يزوجه إذا أدرك ، ويعلمه الكتاب " .

وعن أبى الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم فحسنوا أسماءكم " ، وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " أحب الأسماء إلى الله . عبد الله ، عبد الرحمن " .

وفى رواية أن النبى ﷺ . قال : " تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن ، وأصدقها ، حارث وهمام ، وأقبحها حرب ومرة " .

وقد كان النبى ﷺ يغير الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة فيسمى الأشخاص بأسماء تدل على الشهامة والشجاعة بحيث لا يكون هناك أسماء تجعل الشخصية مائعة ولقد حدث أن سيدنا الحسن رضى الله عنه لما ولد فى السنة الثالثة من الهجرة بالمدينة المنورة فى النصف من شهر رمضان سماه الإمام على رضى الله عنه - حربا - فلما جاء النبى ﷺ بمولد الإمام الحسن أمر بحلق رأسه وأن يتصدق بزنة شعره كما أمر بنحر كبشين وزعت لحومهما على الفقراء : فالأسماء لها دلالة على قوة الشخصية . لهذا يبتعد عن الأسماء المخنثة وخاصة الأسماء المختصرة الدالة على الميوعة وعدم الرجولة . وعلينا أن نتدبر ذلك حفاظا على شخصية أبنائنا .

٤ - أن يكون الأب والأم مثلا طيبا فى تصرفاتهما أمام عين الطفل . لأن ما يفعله الأب و الأم ينطبع فى ذهن الغلام الناشىء هذا مع تهيئة البيئة الصالحة داخل البيت وخارجه لأن هذا ينشىء الغلام على العادات الطيبة . ولذلك ورد عن عبد الله بن عامر قال جاء رسول الله ﷺ إلى بيتنا وأنا صبى صغير فذهبت لألعب فقالت أمى يا عبدالله . . . تعالى حتى أعطيك فقال ﷺ . وما أردت أن تعطيه ؟ . قالت تمرا . فقال أما أنك لو لم تفعلى لكتبت عليك كذبة ، إن الأم هنا قدوة لطفلها فلو كذبت لقلدها الطفل ويصبح ذلك عادة عنده وطبعا لا يفارقه لأن الطبع يغلب التطبع . ومن شب على شىء شاب عليه ، ويقول الشاعر :

وينشأ ناشىء الفتيان منا   على ما كان عوده أبوه

لهذا كان على الأب والأم أن يكونا قدوة طيبة ، ونموذجا كريما أمام طفلهما حتى يكونا مثلا يحتذى ، إن تربية الأبناء تربية حسنة هى التأمين الحقيقى لمستقبلهم وتحت ظل مختلف النظم الاجتماعية ، وهى كذلك مصدر السعادة للآباء فى الكبر لأن من هذب ولده صغيرا سعد به كبيرا ، ولعل حرص الإسلام أن يكون لرب الأسرة الدور الأهم فى تربية الأبناء هو أن الأبناء فى السن المبكرة أشد قبولا للتطبع والتعلم وهم أمل الأسرة المرجى وعدة الوطن فى المستقبل . لهذا يقول رسول الله ﷺ : " خلقوا أولادكم بغير أخلاقكم فقد خلقوا لزمان غير زمانكم " . بمعنى أن يكون هناك يسر وتيسير فى معاملة الصغار حتى لا ينفروا ويبتعدوا عن الأسرة بسبب التشدد والقسوة من الكبار .

وعندما ندرس سيرة رسول الله ﷺ نرى أنه كان يعامل الأطفال برفق

ولين فقد كان يجلس الحسن والحسين على فخذيه ويقبلهما ويقـول : " هما ريحانتاى من الدنيا " ولقد رآه أحد الأعراب يقبل الحسن فقال ما هذا أتقبل الصبيان ؟ إن لى أولادا عشرة ما قبلت واحدا منهم . فيقول سيد الأنبياء المبعوث رحمة للعالمين أو مالك أن نزع الله الرحمة من قلبك؟ من لا يرحم لا يرحم . إن الرفق بالصغار أمر مطلوب من الكبير ليكون هناك تجاوب ولذلك ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال ليس منا من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا ، ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر كما أنه يجب على الآباء أن يعدلوا بين الأبناء وأن تكون المساواة بين الجميع فى العطف والعطاء ويتم ذلك بلا تمييز بين ذكر وأنثى ، ولا بين ابن زوجة وابن زوجة أخرى فإن التفرقة بينهم تزرع الأحقاد فى صدورهم ، وتوجد بينهم منذ الصغر العداوة والبغضاء وتصيب بعضهم بالشعور بالنقص ومثل هذا يسىء إلى المجتمع والأمة فى النهاية بعد أن يقضى على الأسرة ويهدد كيانها بالدمار ، وهى اللبنة الأولى فى بناء المجتمع ولقد بين رسول الله ﷺ أن تمييز أحد الأبناء على الآخر جور لا يليق بالمسلم أن يفعله . روى البخارى عن النعمان بن بشير قال : أعطانى أبى عطية . فقالت عمرة بنت رواحة - يعنى أمه - لا أرضى حتى تشهد رسول الله ﷺ فأتى رسول الله ﷺ فقال : إنى أعطيت ابنى من عمرة بنت رواحة عطية فأمرتنى أن أشهدك يا رسول الله . فقال : أعطيت سائر ولدك مثل هذا - قال لا - فقال رسول الله ﷺ . فاتقوا الله وأعدلوا بين أولادكم . قال : فرجع ورد عطيته . هل شهدت الدنيا مثل هذا التوجيه النبوى .

٥ - أن يبدأ الأب فى تعليم ولده ما هو الواجب عليه ، وذلك بأن يغرس فى نفسه أن الله واحد لا شريك معه فى الملك ، فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، وتأمل وصية لقمان لولده " يا بنى لا تشرك بالله . إن الشرك لظلم عظيم " وقول الحق سبحانه ﴿وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ [النساء : ٣٦] . والرسول ﷺ يعلم ابن عباس وكان قد ركب خلف النبى ﷺ . فيقول له : يا غلام : إنى أعلمك كلمات . "احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعت على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" . هذا والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦] ويقول أيضا : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ . مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ . إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[الذاريات : ٥٦ - ٥٨] . ويقول سبحانه : ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً ﴾ [الأنعام : ١٥١] . وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال : كنت رديف النبى ﷺ على حمار فقال لى يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ فقلت الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا . قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس ؟ قال لا تبشرهم فيتكلوا فالواجب على الوالد أن يعلم ولده هذا وأن ينشئه على عقيدة

التوحيد وأن ينمي في نفسه مراقبة الله الكريم الحفيظ الرزاق الأول الآخر، وهو يتدرج بولده في فهم الأمور مع التبسط، ثم عليه أن يعود ولده على الصلاة برفق ولين ويتعلم من لقمان في وصيته لولده : ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٧ - ١٩].

وتأمل قول الله سبحانه : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ﴾[طه : ١٣٢]. والإنسان يفعل ذلك ليعيش سعيدا في حياته ينعم بأولاده الذين تربوا في ظل الإسلام لأن من أهمل ولده أهانه، ومن ذلك ما يروى أن رجلا جاء إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقال . يا أمير المؤمنين . إن ابني هذا يعقني . فقال له عمر أما تخاف الله في عقوق والدك ؟ . قال الابن يا أمير المؤمنين أما للابن حق على والده ؟ قال عمر . حقه عليه . أن يستنجب أمه، ويحسن اسمه ويعلمه كتاب الله قال الابن فوالله ما استنجب أمي، وما هي إلا أمة مشتراه، ولا أحسن اسمي بل سماني جعلا " أي جعرانا حشرة صغيرة " ولا علمني من كتاب الله آية واحدة فالتفت عمر إلى الرجل وقال له . تقول . ابني يعقني ؟ . فقد عققته قبل أن يعقك . قم عني " هذه أسس عامة ومبادىء صالحة لكل زمان ومكان .

ومما يروى في هذا الصدد أن غلاما حكم عليه بالإعدام لأنه ارتكب ما يستوجب ذلك وعند تنفيذ حكم الإعدام سأله المختص . هل تريد

شيئا؟ قال نعم . أريد أن أرى أمى فأرسلوا فى استدعائها فلما رآها طلب أن يقبلها . فاستجابت لذاك وأقبلت عليه ثم طلب أن يقبلها فى فمها ثم طلب أن يقبلها من لسانها فأخرجت لسانها وعند ذلك مسك لسانها بأسنانه فقطعه ، وتأجل إعدامه وقدم للمحاكمة من جديد بتهمة قطع لسان أمه ، وأمام القاضى قال إن لسانها ساقنى إلى المحكمة التى قضت بإعدامى فقطعت لسانها حتى لا تسوق أخى إلى نفس المصير فقال القاضى . وكيف ذلك ؟ . قال إنها كانت تأمرنى أن أسرق بيض الجيران ثم دفعتنى إلى سرقة الفراخ ثم إلى سرقة الخراف ثم إلى الجمال ، وهكذا عودتنى السرقة حتى أصبحت السرقة فى دمى ولحمى ثم بعد ذلك دفعتنى أن أزيل من أمامى كل من يتعرض لى إلى أن قتلت وقدمت للمحاكمة التى حكمت بإعدامى فقطعت لسان أمى حتى لا تدفع بأخى كما دفعت بى ويكفى أن أكون أنا الضحية ، ولقد تأثر القاضى بعد سماع تلك القصة ، وعرف أن الشاب كان ضحية لأم جاهلة .

المهم من كل هذا أنه لابد من قدوة طيبة ولابد من غرس الأخلاق الفاضلة فى الشباب منذ نعومة أظفاره ولقد أرشدنا رسول الله ﷺ أن نعلم أولادنا الصلاة لسبع سنين وأن نضربهم على تركها لعشر سنين وأن نفرق بينهم فى المضاجع ، وتعويد الصبى على العبادة منذ الصغر يحميه من أن يرتمى فى أحضان الرذيلة ، وهو شاب ، وكما اهتم الإسلام بتربية الشباب روحيا حرص كذلك على تربيته جسمانيا فإذا نما عوده وكمل شبابه فقد حرص الرسول ﷺ على أن يوجهه الوجهة الطيبة فيأمره ببناء جسمه بالرياضة مثل ركوب الخيل والرماية والسباحة ، ورفع الأثقال ،

وما شاكل ذلك لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف كما ورد فى الحديث الشريف وفى حديث آخر " إن لبدنك عليك حقاً " .

ونقف عند ذلك لنبين بإيجاز ما يجب على الأب والأم أن يغرساه فى نفس الوليد فى تلك المرحلة من أخلاق هى أساس لسعادة الإنسان فى دنياه والفوز فى أخراه .

الصدق : وهو فضيلة من الفضائل الخلقية ، وضده الكذب ، وهو رذيلة من الرذائل ، والصدق عامل قوى من عوامل تزكية النفوس وطهارة القلوب وباعث متين من بواعث الإصلاح فى تقويم الأخلاق والنهوض بالنفس الإنسانية والترقى فى مدارج الكمال ، ومعارج الروحانية الصافية والصدق يجعل الإنسان محبوبا عند الله مقبولا من الناس لأنه يصدق فى معاملته مع ربه ويصدق فى معاملته مع الناس ويصدق فى معاملته مع نفسه ، وقد ورد عن سيدنا رسول الله ﷺ أنه قال : " عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر . والبر يهدى إلى الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً " .
هذا ونجاح الأمم فى أداء رسالتها يعود إلى جملة ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة فإن كانت ثروتها من صدق العمل كبيرة سبقت غيرها وتقدمت وتبوأت مكان الصدارة ، ولهذا يقول رسول الله ﷺ : " تحروا الصدق وإن رأيتم أن الهلكة فيه فإن النجاة فيه " . ولقد مدح الله إسماعيل عليه السلام لصدقه فى الأقوال فقال : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلاَةِ

وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِ مَرْضِيّاً ﴾ [مريم : ٥٤] . ولقد كان رسول الله ﷺ يقدس الكلمة ويتحرى الصدق فى الكلام منذ صغر سنه وتعود على ذلك حتى لقب فى المجتمع بالصادق الأمين ، والوالد والأم هما أساتذة الأطفال فإن كانا صادقين شب أبناؤهما على تلك الخصلة الكريمة ولذا يقول الشاعر :

لا تنه عن خلق وتأتى مثله　　　عار عليك إذا فعلت عظيم

أما الكذب : فهو مرض نفسى خبيث يضر بصاحبه ويورده موارد الهلكة ولذا ورد النهى عنه فى قول رسول الله ﷺ : " وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور وإن الفجور يهدى إلى النار وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا " ، وبعض الناس يستسهل الكذب حين يمزح مع غيره ظانا أن مجال اللهو لا حظر فيه ، ولكن إذا كان يكذب فالويل له ثم الويل بقول رسول الله ﷺ : «ويل للذى يحدث بالحديث ليضحك منه القوم فيكذب ويل له ويل له» . ويقول ﷺ : " أنا زعيم بيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحا " . والإسلام يوصى أتباعه أن يغرسوا فضيلة الصدق فى نفوس النشء ويبعدوهم عن الكذب حتى فى الأمور البسيطة فعن أسماء بنت يزيد قالت يا رسول الله . إن قالت إحدانا لشىء تشتهيه لا أشتهيه يعد ذلك كذبا قال ﷺ : " إن الكذب يكتب كذبا حتى تكتب الكذيبة كذيبة والكذب من علامات النفاق " . لقول رسول الله ﷺ : «أربع من كن فيه كان منافقا ومن كان فيه خلة منهن كان فيه خلة من النفاق حتى يدعها – إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر» .

وتـأمل وصيـة رسـول الله ﷺ لمعـاذ بن جبل رضـى الله عنه «أوصيك بتقوى الله وصدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح » ، وفى مدح الصدق يقول عليه الصلاة والسلام«أربع إذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا . . صدق الحديث . . وحفظ الأمانة . . وحسن خلق . . وعفة طعمة » .

فليعمل الوالد من جانبه أن يكون مثال الصدق والعفة والأمانة والنزاهة أمام أولاده . فلا يكون فى المنزل ويسأل عليه أحد أصدقائه فيقول لولده قل للسائل : بابا غير موجود أو يطلب فى التليفون "الهاتف" ثم يكلف أحد أولاده بالرد والإخبار بعدم وجوده لأن كل ذلك تعليم للأطفال وتعويد على الكذب والافتراء ، فلنتأمل هذا ولنتدبر فى كل ما سقناه من أحاديث رسول الله ﷺ وهذا الموضوع متسع جدا ونكتفى بهذا .

الحياء

من الفضائل المحمودة والصفات الطيبة صفة الحياء وهو دليل على أن الذى يتخلق بهذه الصفة عنده مروءة وشهامة لهذا يقول رسول الله ﷺ "إن لكل دين خلق وخلق الإسلام الحياء" ويقول عليه الصلاة والسلام "الحياء من الإيمان ، والإيمان فى الجنة ، والبذاء من الجفاء والجفاء فى النار" ويقول أيضاً "الإيمان بضع وسبعون شعبة فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ، والحياء أن تعرف للناس أقدارهم والعمل على إنزال كل شخص منزلته" .
فالولد لابد أن يستحى من الأب والأم ومن يكبره وأن يوقر الكبير ويحترم معلميه فلا يرفع صوته أمامهم ولا يمد رجله فى وجوههم ولا يسبقهم فى المشى ولا يجلس وهم وقوف . وفى الحديث عن رسول الله ﷺ : « تواضعوا لمن تعلمون منه » وفى الأمثال . من علمنى حرفا صرت له عبدا . ومن أدب القرآن فى معاملة الوالدين ﴿فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ [الإسراء : ٢٣] فالحياء يكشف عن أدب الإنسان إذا نزع منه الحياء أهلكه الله وأضله ، وفى الحديث عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل إذا أراد أن يهلك عبدا نزع منه الحياء . فإذا نزع منه الحياء لم تلقه إلا مقيتا ممقتا . فإذا لم تلقه إلا مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخوناً . فإذا لم تلقه إلا خائنا مخونا نزعت منه الرحمة فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا رجيما ملعنا . فإذا لم تلقه إلا رجيما ملعنا نزعت منه ربقة الإسلام وهذا الوصف للأمراض الخلقية التى تصيب

النفوس يرينا أن أسباب تمزق الحجاب الأخلاقى أصله عدم الحياء . ولذا ورد . إذا لم تستح فاصنع ما شئت . والإنسان الذى يفقد حياءه يكون كالحيوان المفترس يدوس فى سبيل شهواته أزكى العواطف وأنبل الغايات ذلك لأن ماء الحياء قل فى وجهه وقد قيل :

إذا قل ماء الوجه قل حياؤه ولا خير فى وجه إذا قل ماؤه

وليس الحياء جبنا ، ولكنه شهامة ، وشجاعة فى أدب وتواضع ، ونلحظ هذا من قول المؤمنين بموسى عليه السلام لليهود عندما نكسوا عن دخول الأرض المقدسة فقد قالا كما حكى القرآن عنهما ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ البَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ [المائدة : ٣٣] إن أصحاب الخلق لا يخافون إلا الله ويعملون على ما فيه الخير للإنسانية وهم إيجابيون فى كل ما يعود على المجتمع بالأمن والرفاهية . وأعظم الحياء يكون من الله سبحانه الذى خلقك وسواك وأنعم عليك فلا يراك حيث نهاك ولا يفتقدك حيث أمرك . فإذا كنت تأكل من رزق الله فعليك أن تشكره وأن تطيعه وأن تلتزم بما أمرك وتنتهى عما نهاك وتقف عند حدوده التى بينها ولذلك ورد عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « استحيوا من الله حق الحياء » قلنا : إنا نستحى من الله يا رسول الله - والحمد لله - قال : «ليس ذلك الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى . والبطن وما حوى . وتذكر الموت والبلى . ومن أراد الآخرة ترك زينة الحياة الدنيا وآثر الآخرة على الأولى فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » . فإذا كان بعض الشباب يقفون على النواصى يرددون الألفاظ البذيئة على

مسامع الفتيات اللواتى عرين أجسادهن نقول للشباب . ليكن عندك حياء . ونقول : للفتاة . عيب أن تعرى جسدك وتعرضى نفسك لتلك الألفاظ فالعيب عليك أولا فليكن عندك حياء من الله الذى يراك ، والصانع الذى يهمل صنعته ويدلس فيها نقول ، له أما سمعت حديث رسول الله ﷺ : « إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » . إن الحياء من الله والخوف منه يجب أن يكون ذلك شعور الإنسان أولاً وتأمل ـ يستخفون من الناس «ولا يستخفون من الله وهو معهم إذ يبيتون ما لا يرضى من القول » ـ إن الله المطلع عليك الرقيب على أعمالك يجب عليك أن تستشعر به واسمع قول رسولك الكريم : " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " إذا غرست فى ولدك هاتين الصفتين وعودته على ذلك منذ نعومة أظفاره فإنه يتسلح بسلاح قوى فعليك أن تقوى عقيدته وأن تثبت يقينه بتدريبه على الصلاة وتعويده عليها ولقد قال : أحد الحكماء . لاعب ولدك سبعا وأدبه سبعا وصاحبه سبعا ثم اترك حبله على غاربه . . لأنك بذلك غرست فيه القيم وسلحته بسلاح الفضيلة ونميت فيه الضمير الذى يجعله يراقب ربه ويحس بمسئوليته تجاه أمته ويتعاون مع الجميع . وقد سبق الإشارة إلى أن الإسلام اهتم بتربية الشباب روحيا وحرص كذلك على تربيتهم جسمانيا فإذا نما عود الشاب فقد حرص رسول الله ﷺ على أن يوجهه الوجهة الصحيحة فيأمره ببناء جسمه بالرياضة مثل ركوب الخيل والسباحة ورفع الأثقال والرماية وما شاكل ذلك لأن المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . وأن توجيه الشباب لتلك التربية البدنية يحول فكره

عن الهواجس والتفكير فى الشر والجريمة وكذلك قلبه عن التركيز على إشباع ميوله ورغباته ويمتص غرائزه التى تجمح به فى هذه الفترة من سنى مراحل حياته ويملأ الفراغ الذى يشعره بالملل ويوجه طاقاته للبناء فيما يعود عليه بالخير وعلى أمته بالنفع ويقيه من أضرار الغرائز الجامحة ويفيده فى بناء قوة الإرادة وصلابة العزيمة . ولابد من إيجاد جو من الثقة المتبادلة بين الأولاد والآباء رائدهم فى ذلك الترغيب لا الترهيب ولذلك كانت العبادات الإسلامية تربية للسلوك وتهذيبا للأخلاق . والشاب الذى ينشأ على ذلك ويتعود على العبادات مثل الصلاة والصيام والأخلاق الفاضلة ويتسلح بالعقيدة نجده ينصهر فى بوتقة المجتمع ويعايش الناس معايشة إيجابية ليس فيها انفصام للشخصية ولا انفصال عن المجتمع أو انعزال عن الناس لأن الصلاة التى هى صلة بين العبد وربه كذلك هى تعويد للشاب على العمل الجماعى والانتظام فى صف الأمة والالتحام بالناس والاقتداء بالخيرين وهى كذلك تدريب عملى لتعويد النظام وضبط الوقت والالتزام بمواعيد محدودة يكون من وراء ذلك خلق الشخصية المتكاملة ذات المسلك المهذب . والصوم الذى هو سر بين العبد وربه هو كذلك تربية للضمير الذى هو الأساس فى تقويم الشخص وكذلك تقويم للسلوك وتهذيب للغرائز وإحساس بالمسئولية وترابط بين أفراد المجتمع على نوع معين من الارتباط بالوقت وهكذا كل نوع من العبادة التى شرعها الإسلام علاج لداء ووقاية من مرض خبيث يهدم الشخصية فتكون العبادة هى السلاح الواقى والدواء النافع إن شاء الله .

إن الإسلام عقيدة فى القلب يجعل الإنسان يراقب ربه ويخلص فى

عمله ، ويتأثر بالأحداث التى تجرى من حوله . وهو كذلك عمل بمبادىء والتزام بأخلاق . فكما أنه يأمرك أن تتردد على المساجد يأمرك أن تعامل الناس فى الشارع بما شرعه لك الله فى القرآن الذى استمعت إليه فى المسجد هذا والرسول ﷺ بين أن قوام الدين ثلاثة - الإسلام والإيمان والإحسان - وقد بين ذلك فى حديث شريف رواه الإمام أحمد عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال . . بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : يا محمد أخبرنى عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ : " أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا " . قال صدقت . فعجبنا له يسأله ويصدقه . قال أخبرنى عن الإيمان . قال : «أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر . وتؤمن بالقدر خيره وشره» . قال : صدقت قال : فأخبرنى عن الإحسان . قال : « أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه فإنه يراك» . قال : فأخبرنى عن الساعة . قال : «ما المسئول عنها بأعلم من السائل » . قال : فأخبرنى عن أماراتها . قال : «أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاة يتطاولون فى البنيان» ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال : «يا عمر أتدرى من السائل ؟ قلت الله ورسوله أعلم . قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» .

إن الإيمان بالله هو صمام الأمن لدى الشباب فى مختلف مراحل

حياتهم . وإن العقيدة الصحيحة هى التى تصلح من شأن الإنسان فى مختلف مراحل حياته ولسنا نجد علاجا للاضطرابات النفسية والاكتئاب النفسى نقدمه للإنسانية خيرا من الإيمان بالله لأنه هو الذى يسكن النفس ويصلح البال ويعصم الإنسان عن الوقوع فى الرذيلة ولهذا قال الله سبحانه : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ . وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ [محمد : ١-٢] . وصلاح البال أمر مهم لأن به تكون الشخصية متزنة جدا وبغيره تضطرب الشخصية وتكتئب وتتردد على أطباء الصحة النفسية وتكثر الأدوية المهدئة والمنومة وما شاكل ذلك من أنواع تتعدد أنواعها فى الصيدليات ولكن هدى الله ودواؤه وصف لنا وبين أنه فى العبادات السليمة والعمل الصالح المقترن بالإيمان .

إن الانحرافات التى تسود بعض المجتمعات وتجعلها تتردى فى مهاوى النزعات الفردية والأنانية القاتلة وإشباع الغرائز مما نجم عنه قيام بعض المصلحين يرفعون أصواتهم وينذرون قومهم سبب ذلك غياب صوت الدين الذى شرعه الله للأخذ بيد الإنسانية إلى أن تتعايش على أسس من الفضيلة والأخلاق كما أن الدين سياج يحمى المجتمعات من الانهيار والضياع يقول الشاعر :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان ... ولا دنيا لمن لم يحى دينا

ومن رضى الحياة بغير دين ... فقد جعل الفناء لها قرينا

والباطل لا ينتشر إلا فى غيبة الحق . والحق هو ما جاء على ألسنة

رسل الله وأنبيائه فهم دعاة الخير وهداة الإنسانية الذين وضعوا العلاج لكل انحراف وإن البشرية اليوم فى حاجة إلى أن تعود إلى كتاب ربها وإلى الإيمان الصحيح تعتصم بذلك من التردى والانهيار يقول رسول الله ﷺ : " ستكون فتن كقطع الليل المظلم " قالوا وما المخرج منها يا رسول الله قال : " كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم . وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين وهو الصراط المستقيم هو الذى لا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء . من قال به صدق . ومن حكم به عدل . ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم" . ويقول الشاعر :

إذا زرت بعد البيت قبر محمد ... وقبلت مثوى الأعظم العطرات
وفاضت من الدمع العيون مهابة ... لا حمد بين الستر والحجرات
فقل لرسول الله يا خير مبعث ... أبثك ما تدرى من الحسرات
بلادك فى شرق البلاد وغربها ... كأصحاب كهف فى عميق ثبات
بأيمانهم نوران ذكر وسنة ... فما بالهم فى حالك الظلمات

إذا لا بد للعودة إلى الدين نعلمه لأولادنا ونغرسه فى نفوس النشء ليكون الخير المرتقب للإنسانية جمعاء . ولا بد أن تتعاون كافة الأجهزة فى الدولة للأخذ بيد الشباب وإعطائهم جرعة دينية تهذب أخلاقهم وتصقل نفوسهم .

والبيت هو الأساس الأول والأم قبل الأب والأب قبل المدرسة التى

تأتى فى المرتبة الثانية ثم هناك وسائل الإعلام على مختلف مستوياتها . مرئية . أو مسموعة أو مقروءة . وهناك الأندية الرياضية . الشارع وما يعلن فيه من لافتات كل هذا لابد أن يكون هناك تقييم من جديد لما يمارس فيها لنحافظ بذلك على الشباب لأن ما يبنيه المسجد فى عام تهدمه وسيلة واحدة من وسائل الإعلام فى لحظة . ثم الأهم من ذلك السينما والمسرح لابد للروايات أن تكون هادفة لها من مقومات الأخلاق ما يجعل الرقيب يوافق عليها وياحبذا لو أن المدارس نظمت حصصها بحيث يكون هناك دقائق لصلاة الظهر ويؤم جمع الشباب أستاذ يكون قدوة ويقف الطلاب مع أساتذتهم فى حب ووئام أساس ذلك الخلق الكريم والدين العظيم ويكون ذلك فى الجامعات ودور الحكومة يقدم الكبار إلى المصلى ومن ورائهم إخوانهم فى العمل . لو تم ذلك لقضينا على كثير من الانحرافات وقومنا الكثير من اعوجاج الأخلاق . وصدق الله العظيم ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] . إن القلب يتقطع عندما نسمع عن الاختلاسات والإهمال فى المال العام أو الخاص . ويا ليت المختلس يعمل عملا بناء بما اختلس ولكن للأسف فإنه يضيع ذلك على المخدرات والمسكرات والقمار وما شاكل ذلك مما حرمه الدين ونهى عنه الإسلام . ليت قومى يعلمون ما فى الإسلام من قيم أخلاقية تبنى ولا تهدم . تعمر ولا تخرب وأن المسلم بناء لكل خير إيجابى فى كل ما من شأنه إسعاد الغير .

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور : ٦٣] وعلينا أن نعمل جاهدين مخلصين للأخذ بيد أبنائنا وبناتنا إلى مدارج الكمال وتهيئة المناخ السعيد لهم .

الفصل الثانى

وصايا عظيمة

توجيه ربانى جاء فى القرآن الكريم على لسان رجل صالح ينشد لولده الكمال ويبغى له الفلاح ويرسم له طريق السعادة بوصايا عظيمة له ولأمثاله من الشباب يقول الحق سبحانه ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِه وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْه حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّ اللهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ (١٧) وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[لقمان : ١٣-١٩] .

إنها وصايا نافعة وإرشاد عظيم وتوجيه قيم من سار عليها وتمسك بها سعد فى الدنيا لأنه يعيش بين الناس حميد الخصال طيب الفعال محبوبا منهم إن اقترب منهم أفسحوا له وإن غاب عنهم سألوا عنه .

فالإنسان المؤدب الذى يعيش بتواضع كما أنه يكون سخى النفس يراقب ربه ولا يشرك به لأن الشرك بالله جريمة تبعد الإنسان عن ربه وفعل قبيح لا يليق بالمخلوق وقد تتعدد أنواع الشرك .

فهناك إنسان يتخذ صنما يسجد له ويتوسل إليه ويرجوه ويظل يدعو وما دعاؤه إلا فى ضلال وهناك آخر يتقرب إلى الناس ويتزلف إليهم على حساب خلقه ودينه وعفته ومروءته وهناك ثالث ينقاد لشهواته ونزواته وينطلق وراء هواه لا يرعوى ولا ينزجر وهو فى كل هذا ينسى الخالق الديان يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً (٤٣) أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾[الفرقان : ٤٣-٤٤] .

لأن الذى يعبد الحجارة أو يتزلف أو ينقاد لغرائزه هؤلاء عموا أبصارهم وأصموا آذانهم ولم يستجيبوا لداعى الفطرة فى نفوسهم وهم بذلك خرجوا عن آدميتهم وألغوا عقولهم وأصبحوا كالحيوانات التى لا تنطق لا تعرف لنفسها وجهة وإنما توجه ولهذا عاب الله عليهم صفتهم « ان هذا الظلم اقترفوه وعمل قبيح ارتكبوه » .

ثم بدأ لقمان الحكيم بعد أن بين فظاعة الشرك أمام ولده وأمام كل إنسان عاقل يلفت نظر ولده ويوصيه بأبويه خاصة الأم لما لها من منزلة عظيمة وعمل كريم وتعب متواصل من أجل راحة ولدها وإذا كانت الأم مشركة والأب كذلك أو خرج أحدهما على الطريق المرسوم وكانا على الشرك أو أحدهما . فالإسلام يأمر الولد أن يعاملهما برفق رغم اختلاف الدين أو الميول أو النزعات فلا يمنع ذلك من أن يصاحبهما فى الدنيا

بالمعروف وأن يحسن إليهما لأن هذا واجب فى عنقك ودين قدماه إليك فإن أحسنت إليهما أحسن الله إليك .

ثم بين لقمان لولده بأن الإنسان منا إن فعل خطيئة صغرت أو كبرت وفى أى مكان يفعلها فإن الله تبارك وتعالى يحضرها أمامه يوم القيامة ويحاسبه عليها حين يضع الله الموازين بالقسط ثم يسأله عن فعلته التى فعلها ويجازيه عليها ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ [آل عمران : ٣٠] ومهما يكن موقع هذا العمل فإن الله يأتى به ولو كان فى داخل صخرة صماء لأن الله لا يغيب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض لأن الله لطيف خبير فلا تخفى عليه الأشياء وإن صغرت خبير بدبيب النمل فى الليل البهيم والرسول ﷺ يقول : « لو أن أحدكم يعمل فى صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لخرج عمله للناس كائنا ما كان » ثم يبدأ لقمان فى توجيه النصح لولده فيقول له : يا بنى أقم الصلاة لأن الصلاة عمود الإسلام وأساس الدين والركن العملى المظهرى والفرق بين المسلم والكافر وإقامة الصلاة أمر ضرورى فى دنيا الناس لأنها تعصم الإنسان من الخطأ وتبعده عن الشرور والفساد . ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ﴾ [العنكبوت : ٤٥] .

كما أنها تسكن النفس وتزيل الهم وتخفف التعب . ولهذا ورد أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتد به أمر أو حل به هم نادى على بلال وقال : "أرحنا بالصلاة يا بلال" . ولم يقل أرحنا منها وإنما قال أرحنا بها لأنها راحة للقلب وريحانة للنفس وتفريج للكروب وصلة بالله علام الغيوب .

ولهذا ورد علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم فى المضاجع وإذا كانت الصلاة مظهرا عمليا للإسلام فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مظهر اجتماعى وتعاطف إنسانى نبيل والذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر يحب الناس ويرجو لهم الخير ويأخذ بيدهم إلى مواطن الصلاح .

والذى يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر دائما يتعرض للأذى والتهجم من الناس عليه لأنه يغير ما ألفوه وينكر عليهم ما يفعلوه لهذا أمره الله بالصبر فقال : ﴿ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ ﴾ [لقمان : ١٧] . والصبر على الأذى من الناس وتحمل عنتهم دليل على قوة العقيدة وثبات اليقين وهذا يدل على ﴿ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ ولا يليق بالإنسان أن يعرض بوجهه عن الناس تكبرا عليهم واحتقارا لهم لأن ذلك نوع من الكبر الذى حرمه الله والغطرسة التى تتنافى مع خلق المسلم وقد نهانا الله عن ذلك فقال : ﴿وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ أى لا تتكلم وأنت معرض عنهم ولكن ألن جانبك وابسط وجهك وتودد إلى الناس وقد جاء فى الحديث " ولو أن تلقى أخاك ووجهك إليه منبسط " ولا يليق بالإنسان الملىء بالصحة والفتوة أن يمشى فى الأرض ضاربا برجله تكبراً وتجبراً وينسى أصله وفصله وأنه مخلوق من التراب وسيعود بعد أيام إلى التراب ولهذا قال الله ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ [لقمان : ١٨] أى مختال معجب فى نفسه يفتخر على غيره ويتطاول على أمثاله ولهذا جاء نهى آخر فى قول الله ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً . كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾ [الإسراء : ٣٧] .

وقد يظن بعض الناس أن لبس الملابس النظيفة أو غسل الشعر وترجيله كل ذلك من الكبر ولكن يوضح لنا هذه القضية رسول الله ﷺ عندما ذكر الكبر أمامه فشدد فيه فقال : " إن الله لا يحب كل مختال فخور " . فقال رجل من القوم والله يا رسول الله إنى لأغسل ثيابى فيعجبنى بياضها ويعجبنى شراك نعلى وعلاقة سوطى فقال الرسول ﷺ لهذا السائل الذى يعجبه بياض ثيابه ولمعان حذائه " ليس ذلك الكبر ، إنما الكبر أن تسفه الحق وتغمط الناس .

والمعنى أن الكبر يكون تعاليا عن الناس وتماديا فى الباطل واندفاعا فى الغرور والزهو بالنفس والافتخار بالعمل كل ذلك مع تسفيه رأى الآخرين وعدم الانصياع لكلمة الحق لهذا قال الله بعد ذلك : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ﴾ [لقمان : ١٩] أى كن عدلا وسطا بين البطء والإسراع واغضض من صوتك أى لا تبالغ فى الكلام ولا ترفع صوتك بلا فائدة ولا تجادل بالباطل ولا تكن مغرورا مزهوا فإن الكبر يقتل الإنسان من حيث لا يدرى وليس أحسن من التواضع الذى هو شيمة الصالحين وعلامة الفالحين وصدق على حسن العلاقة برب العالمين . وفى الأثر «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فيهما ألقيته فى نارى ولا أبالى » . وفى الحديث عن رسول الله ﷺ : «طوبى للأتقياء الأبرياء الذين إذا حضروا لم يعرفوا وإذا غابوا لم يفتقدوا أولئك مصابيح مجردون من كل فتنة غبراء مشتتة » .

ومن المعلوم أن اليسير من الكبرياء شرك لأن إبليس عندما أمره الله بالسجود لآدم تكبر ولم ينفذ أمر الله الذى ألقى إليه بالسجود لآدم بل

قال في حسد يأكل قلبه وغطرسة تظهر في كلامه وتكبر على هذا الأمر "أأسجد لمن خلقت طينا" وورد عن الحسين بن على رضى الله عنهما : «ما دخل قلب رجل شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك» .

وخطب أبو بكر رضي الله عنه فذكر بدء خلق الإنسان حتى قال «ان أحدنا ليقدر نفسه خرج من مجرى البول مرتين ثم يتكبر ويتجبر يعارض جبار السموات والأرض» . وقد ورد فى الأثر "لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره" .

وورد " بينما رجل يتبختر فى برديه أعجبته نفسه . خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة " . ثم بين الحق سبحانه بأن الإنسان الذى يغض من صوته علامة على أدبه أما الذين يرفعون أصواتهم وهى منكرة فمثلهم فى هذا كمثل الحمير فى الشبه فى علو الصوت ورفعه وهذا بغيض إلى الله والرسول ﷺ قال لنا : «إذا سمعتم صياح الديكة فاسألوا الله من فضله . وإذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت الشيطان » .

فكأن الذى يرفع صوته بلا مناسبة تعاليا على الناس وإشباعا لغروره ينفخ فيه الشيطان ليبعده عن الله ولهذا ورد أن لقمان الحكيم قال لولده يا بنى إذا أتيت نادى قوم فارمهم بسهم الإسلام يعنى السلام ثم اجلس فى ناحيتهم فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا فإن أفاضوا فى ذكر الله فأجل سهمك معهم . وإن أفاضوا فى غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم . ولقمان هنا يوصى ولده بأن يلقى السلام على من دخل عليهم لأنها تحية عظيمة ويجلس مع الناس فإن كان الكلام فى ذكر الله وفى أمر

بالمعروف ومدارسة العلم ومذاكرة القرآن ويتذاكر معهم الحديث ويدلى بدلوه معهم أما إن كانوا يتكلمون فى غير ذلك يخوضون فى أعراض الناس ويتكلمون فى حقهم بالغيبة والنميمة ويرفعون أصواتهم بالصياح فأولى به أن يبتعد عن مجالستهم وأن يبتعد عنهم وأن يترك هذا المكان لأن الله تعالى قال : ﴿ وَلاَ تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾ [هود : ١١٣] ويقول : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾[الأنعام : ٦٨] .

والتوجيه هنا معناه أن الذين يتكلمون فى حق الناس قد ظلموا أنفسهم وهذا يجرهم إلى أن يتطاولوا ويخوضوا فى آيات الله وأحكام الإسلام بغير ما يعرفون . وهذا شىء فظيع يجر إلى التهلكة ويكون سببا فى غضب الله . والرسول ﷺ لحرصه على الشباب كان يبدأ فى تعليمهم وتوجيههم باللين والرفق والكلمة الطيبة وكان تعليمه لهم فى كل شىء حتى فى حالة الجلوس على الطعام كان يوجههم فقد روى البخارى عن عمر بن أبى سلمة قال : " كنت غلاما فى حجر رسول الله ﷺ وكانت يدى تطيش فى الصحفة أى فى الإناء الذى يأكل فيه وكان هذا الغلام يجلس فى حجر رسول الله ﷺ وكانت يده تمتد إلى الإناء من أوله إلى آخره وفى وسطه لأنه لا يعرف آداب المائدة ولا مجالسة الكبار وهنا يتبين لنا حكمة الرسول ﷺ فإنه لم يضق صدره ولم يتبرم أو يتأفف أو يمتنع عن تناول الطعام من هذا الإناء وإنما بدأ التوجيه والنصح بالرفق وفى هذا تعليم لكل غلام صغير كما أنه توجيه للكبار كيف يعلمون الصغار الآداب العامة التى يكون من ورائها سعادة الفرد فى نفسه فالرسول ﷺ لما

رأى الغلام يفعل هذا قال له : " يا غلام " سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك ، فالإنسان عندما يجلس على المائدة عليه أن يسمى الله يقول : "بسم الله الرحمن الرحيم" فإن التسمية بركة فى أول الطعام .

فقد روى أبو داود أن رسول الله ﷺ كان يأكل طعامه فى ستة من أصحابه فجاء أعرابى فأكله بلقمتين أى أكل طعام الستة فقال رسول الله ﷺ : "أما أنه لو سمى كفاكم" وفى رواية "فإذا أكل أحدكم طعامه فليذكر اسم الله عليه فإن نسى فى أوله فليقل بسم الله أوله وآخره" وأما الأكل باليمين فإنه من التيامن الذى يأمر به رسول الله ﷺ ولذا روى مسلم عن رسول الله ﷺ قال : "إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب فليشرب بيمينه فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله أما الأكل مما يلى الإنسان فهذا من الأدب والحياء لأن مد اليد هنا وهناك دليل على الشره والأنانية والاستحواذ على الطعام وهذه من الأمور المنهى عنها خلقا ، فإن الرسول ﷺ يقول : «إذا أكل أحدكم طعاما فلا يأكل من أعلى الصحفة لكن يأكل من أسفلها فإن البركة تنزل من أعلاها» .

ولهذا يقول عمر بن أبى سلمة الذى وجهه الرسول ﷺ وعلمه وهو غلام إلى هذه الآداب وتلك التوجيهات التى تسمو بالإنسان وتعلى من قدره وتجعله عزيزا بين قومه محبوبا منهم غير طماع فيما ليس له وليست عنده شراهة يقول " فما زالت تلك طعمتى بعد" أى أنه بعد هذا التوجيه التزم بهذه الآداب وسار عليها وتحلى بها فكانت من سجاياه الخلقية .

إن الشباب هم أحوج الناس إلى تلك التعليمات التى تجعلهم قادة الأمة إن تسمكوا بها وساروا على نهجها . ﴿ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن : ١١] .

توجيهات الشباب

الإسلام خير هاد للشباب إلى طريق الرشاد لأن فترة الشباب من عمر الإنسان هى فترة النضج الفكرى والقوة العقلية والقدرة الجسمانية مما يساعده على تحصيل العلم والانطلاق فى العمل وجودة الإنتاج إن غذى الشباب بالقيم الروحية ونشأوا على المبادىء الفاضلة التى ترتفع بمستواهم الأدبى والمعنوى . والشباب الذى يريد الخير لنفسه وينشد الحياة السعيدة المليئة بالأمن والطمأنينة وهدوء البال وراحة النفس عليه أن يعرف ربه الخالق المنعم . وأن يعبده عبادة تصقل نفسه وتسمو بروحه وتجعله يرجو ثوابه ويخاف عقابه وإذا ما كان كذلك فعليه أن يدعو غيره إلى ما ارتضاه لنفسه مستعينا بالصبر ومكارم الأخلاق لأن الإنسان اجتماعى بطبعه ورسالته لا تتأتى فى الحياة ولا تؤتى ثمارها إذا كان الإنسان منعزلا عن مجتمعه سلبيا فى حياته ينأى بنفسه عن المجتمع ويتجنب الناس .

ولكن السعادة الحقة يشعر بها الإنسان عندما يخالط الناس ويعايشهم ويكون داعية إلى الخير امتثالا لقول الحق ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل : ١٢٥] .

ومن هذا المنهج يشب الشاب وينمو وهو مكتمل الرجولة . استبدل الجبن بالشجاعة والضعف بالقوة لأنه يستمد ذلك من الكبير المتعال . وفى هذا المعنى نرى التوجيه النبوى الكريم من مولانا رسول الله ﷺ إلى

ابن عباس الذى قال : كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال يا غلام إنى أعلمك كلمات "احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشىء لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشىء لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف" .

إن هذا التوجيه النبوى الكريم لفتى من فتيان قريش دليل على عناية الرسول ﷺ وحرصه على تنشئة الشباب على المحافظة على الآداب العامة والمظهر الكامل وعدم الجبن وعدم الخوف وعدم التردد ليكون الشباب مظهرا كاملا لخلق الإسلام وقد حث الإسلام الشباب على جمع شمل الأسرة التى يعيش فى وسطها ويحيا بينها بإفشاء السلام عندما يدخل بيته أو فى أى مكان عام أو خاص لأن ذلك مظهر كريم يجب أن يتحلى به الشباب فقد روى عن أنس رضي الله عنه قال : قال لى النبى ﷺ : «السلام اسم من أسماء الله تعالى وضعه فى الأرض فأفشوه بينكم فإن الرجل المسلم إذا مر بقوم فسلم عليهم فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم بالسلام فإن لم يردوا عليه رد عليه من هو خير منهم» .

كما أن السلام اسم من أسماء الجنة يقول الله تعالى : ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام : ١٢٧] وهو تحية المؤمنين عند لقاء ربهم يوم القيامة يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ ﴾ [الأحزاب : ٤٤] .

والسلام كذلك تحية الملائكة للمؤمنين فى الجنة يقول الله سبحانه : ﴿ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَاب سَلامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّار ﴾ [الرعد : ٢٣] كما أن السلام ختام مناجاة الإنسان لربه فى الصلاة لأن الصلاة كما عرفها الفقهاء أقوال وأفعال مفتتحة بالتكبير مختتمة بالتسليم وكل ذلك يعطى صورة للشباب بأهمية هذه الكلمة التى تجرى على لسانه فتكون ربطا للمودة والألفة وتزيل الضغائن من القلوب لأنها من توجيه السماء وهدى الأنبياء أما إذا ألقيت عليك التحية وكانت بلفظ السلام فيجدر بك أن ترد السلام قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء : ٨٦] ولقد وصف الله أصحاب القلوب المريضة والنفوس الضعيفة لأنهم يلقون تحية غير ذلك ويلوون بها ألسنتهم تعاليا وكبرياء وأنفة من تحية الإسلام التى هى شعار المؤمنين وقد بين الله هؤلاء الناس بقوله : ﴿ وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلا يُعَذِّبُنَا اللهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾[المجادلة : ٨] .

إذا كان هناك بعض الألفاظ تجرى على ألسنتنا مثل يومك سعيد أو نهارك سعيد أو ما شابه ذلك من كلمات فهى كلمات لا تعطى روح تحية الإسلام والأجدر بالمسلم الشاب التقى النقى المهذب أن يكون شعاره السلام وتحيته تحية الإسلام .

ولقد كان أصحاب رسول الله ﷺ يمشون مع بعضهم فتفرق بينهم الشجرة فإذا التقوا سلم بعضهم على بعض من جديد وذلك لزيادة المحبة والألفة ومجلبة لمغفرة الله سبحانه وتنزل نفحاته يقول رسول الله ﷺ :

«ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن يتفرقا» ويقول أيضا : «إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه فإن أحبهما إلى الله أحسنهما بشرا لصاحبه فإذا تصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادىء منهما تسعون وللمصافح عشرة» .

أرأيت يا أخى الشاب لفظ السلام الذى تعود به لسانك يكون مجلبة لحب أهلك ورضا ربك وسببا فى غفران ذنبك . ومن تمسك بكتاب ربه وهدى النبى المصطفى ﷺ كان بعيدا عن الانحراف محفوظا من طغيان الشهوات يبنى ولا يهدم يألف ويؤلف ويحسن الظن بأهل الإسلام ولا يخرج عن جماعتهم يتمنى للجميع الخير ويأخذ بأيديهم إلى ساحة الرحمن يقول الرسول ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته ومن فرج عن مسلم كربة من كرب الدنيا فرج الله بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله فى الدنيا والآخرة» .

والإسلام فى اهتمامه بالشباب وتوجيهاته إليهم لم يغفل الجانب العقلى لأنهم دائما فى حاجة إلى شىء يغذى العقل من الفكر المنظم والحوار الهادئ ولهذا جاء فى القرآن الكريم حديث دار بين إبراهيم وبين النمروذ وهو الرجل الكافر الذى ادعى الألوهية وتطاول إلى أعلى من قدره وأراد أن يلفت النظر إليه لما عنده من نفوذ على بعض الناس فجاء إليه إبراهيم الخليل يدعو إلى عبادة الله وحده وعدم الإلحاد فى العقيدة والشرك بوحدانية الله ودار حوار فكرى ممتع فيه غذاء للعقل وإثراء للفكر لأنه أخذ أسلوب المحاورة التى توصل الإنسان إلى النتيجة المقنعة وفى

سورة البقرة جاء هذا الحديث عند قول الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] .

وعندما نقف عند تلك الآية الكريمة من كتاب ربنا الخالق ونتبين ما فيها من حوار جاء قليل الكلام كثير المعنى فلقد ظن هذا الرجل الذى تولى حكم الناس وبسط نفوذه عليهم وأصبح يجيء له ثمرات كل شيء يشير فيطاع ويتكلم فيسمع له فظن أن ذلك مؤهلات الربوبية التى ترشحه إلى أن يكون إلها يتصرف فى الكون حسب مشيئته ويعمل ما يحلو له وإن فى استطاعته أن يحكم على بريء بالإعدام وعلى متهم بالإفراج وأنه مادام قد فعل ذلك فإنه إله يجب على الناس أن يسجدوا له ويتقربوا له من دون الله وقد أشاع فيهم أنه الذى يملك أن يتحكم فى كل شيء لأن بيده مقاليد الأمور ولكن إبراهيم عليه السلام بعد هذا الحوار اللطيف وهذا البيان المعظم من إبراهيم عليه السلام الذى استدرج هذا الحاكم وقال له إذا كان فى استطاعتك أن تحكم على بريء بالإعدام وعلى مدين بالإفراج فهل فى استطاعتك أن تجعل الشمس تشرق من جهة الغرب . لأن الشمس لها مدار تسير فيه وفلك تتحرك فى نطاقه وهى مسخرة بأمر الواحد الأحد الخالق القادر وقد وضع لها نظاما وقانونا تعارف الناس عليه من الأزل . فإن كنت أيها الجاحد للرب الخالق تدعى الألوهية فعلا فبدل فى نظام الكون وغير فى قوانينه وهى قضية تطرح نفسها أمام كل جاحد وأمام كل منكر لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ

أن تَزُولاَ وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَد مِّن بَعْدِه ﴾ [فاطر : ٤١] . ويقول فى آية أخرى ﴿ لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَك يَسْبَحُون﴾[يس : ٤٠] . إن هذا النظام الدقيق والعمل المتقن والإبداع فى الصنعة كل ذلك بأمر الواحد العظيم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم لأنه لو أخذته سنة أو نوم لاضطرب نظام العالم وسقطت السماء على الأرض وماجت الأنهار . ولو كان معه إله آخر لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض وادعى كل منهم أن له أن يتحكم فى كذا وكذا وأن للآخر أن يتحكم فى كذا وكذا ويكون من وراء ذلك خلاف فى الرأى ونتيجة الخلاف دائما الفساد والاضطراب ، ولما أفحم الكافر وعرف أنه لن يستطيع أن يغير نظام الكون لأنه مخلوق ضعيف عندئذ بهت واضطرب فكره وزاغ بصره ودل ذلك على أنه وقع فى مأزق .

وخلاصة القول أن الإسلام وضع منهجا للرد على خصوم الإسلام وأعداء الدين ومجادلتهم بالحسنى ومما لا شك فيه أن عصرنا هذا تموج فيه آراء مذهبية وتيارات فكرية يحملها أشخاص آمنوا بها وتحمسوا لها وتنقلوا من أجلها وسخروا فكرهم وأقلامهم للدعوة إليها والتعرض لمن يريد أن ينال منها ولما كان القرآن الكريم هو كتاب الوجود وزادا للمفكر الإسلامى ومنهجا لصاحب الفكر والعقيدة الدينية بسط الله لنا فيه هذا الحوار الفكرى ليكون نبراسا نسير على نهجه ونقتبس منه ليكون فكرك مدعما بالأدلة التى تقحم خصمك وتقهر عدوك .

إن إبراهيم زعيم أسرة الأنبياء والذى حمل لواء الدعوة إلى الله بين لنا فى هذا النقاش أن قدرة الله تبارك وتعالى فوق قدرة البشر مهما كان هذا

البشر وماله من سلطان أو جاه لأن الخالق القادر لم يشرك أى شخص معه فى ملكه حتى ينازعه فيما خلق ولهذا أخبرنا ربنا جل وعلا بقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ . مَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج : ٧٣]

ولما كان هذا إقحام لكل من يتطاول على مقام الربوبية مدعيا أنه غنى أو عظيم أو أن له شركاء يستطيعون أن يعينوه رد الله عليهم بهذه الآية بل إنه قال سبحانه فى آية أخرى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء : ٩٨] .

لقد تكرر هذا الوضع عند بعثة الرسول ﷺ وذهب قوم من المشركين إلى الرسول ﷺ وقالوا له : " يا محمد أربك واحد أم اثنين أم ثلاثة ؟ " . فأنزل الله سبحانه وتعالى : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد . ولم يولد . ولم يكن له كفوا أحد ﴾ [الصمد] .

ولما أفحمهم الله بهذا البيان لجأوا إلى شيء آخر وأسلوب فيه عناد وتحد لرسول الله ﷺ وقالوا له أربك قريب فتناجيه أم بعيد فتناديه فنزل قول الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ [البقرة : ١٨٦] . فالله تبارك وتعالى هو صاحب الأمر ورب القدرة وهو القائل : ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ [يونس : ١٠٧] .

ولما كان ربنا بهذه القدرة فإنه خلقنا لعبادته وأمرنا بطاعته ونهانا عن معصيته وأرسل إلينا الرسل مبشرين ومنذرين وأنزل على الرسل الكتب السماوية فيها بيان للطريق الذى يجب أن يسلكه الشخص والأخلاق التى يتحلى بها كما أنه فى الكتب السماوية بين أن المسئولية فردية بمعنى أن كل إنسان يحاسب على ما فعل ويجازى بما صنع ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ [الإسراء : ١٥] . وأن كل إنسان منا مسئول عن نفسه لا يحمل عن أبيه أو أخيه أو أمه أو بنيه أوزارهم ولا يسأل عن أفعالهم وإنما يسأل عن أعماله هو ؟ ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ ﴾ [الزلزلة : ٧-٨] .

ولقد وضح الإسلام ذلك للشباب ليكون على بينة من مسيرته حتى يستضىء بهدى الإسلام ويقتبس من تعاليمه لينال سعادة الدنيا وفوز الآخرة .

وصدق الله العظيم : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣]

الثروة الحقيقية للأمة

لكل أمة ثروة تعتز بها وتحافظ عليها وتعمل على تنميتها ليزداد رصيدها ويقوى ميزان ثروتها .

والشباب فى كل أمة هم ثروتها الأساسية إن حوفظ عليها زاد رصيد الأمة من الخير . واضطرد تقدمها فى سلم الرقى ولم نجد أمة من الأمم حافظت على رصيدها من الشباب كما حافظ الإسلام على تلك الثروة حيث وضع من المناهج والقيم والمبادىء ما ينمى تلك الثروة لأنه يحفظ عليها نضارة الحياة وصحة البدن وعافية الجسم وقوة العزيمة وسلامة التفكير وصلابة الإرادة .

ومبادىء الإسلام لا تصطدم مع فكر الشباب ولا توجد تصارعا عضليا أو عقليا بين ما فيه من مبادىء وبين فكر الشباب المتوقد لأن الشباب يمتاز بوهج الفكرة ولمعان الخاطر لعدم التجارب السابقة لهذا عمل الإسلام على تربية الروح وصقلها وذلك بالدعوة إلى التمسك بأمور الدين التى نزلت بها شريعة السماء ووضح مسيرتها هدى الأنبياء والإسلام عندما دعا إلى تنمية الروح وتقوية العقيدة بالقيم الخلقية والمثل العليا لم يغفل جانب الجسم فوضع له الإطار الذى يتلاءم مع ميوله وسرعة حركته والرسول ﷺ يقول : " المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف " ويقول : " اليد العليا خير من اليد السفلى " ويقول : " علو الهمة من الإيمان " إن هذه الدعوة التى رددها رسول الإسلام ليحث الشباب على التمسك بعلو الهمة ليس معناه التكبر أو تصعير الخد للناس ولكنه دعا إلى قوة العقيدة وقوة البدن لأن من الحكم المأثورة "العقل السليم فى الجسم السليم" .

والإسلام عندما يطالبك بالعبادة فإنه يرجو لك قوة البدن وسلامة الأعضاء لتستطيع ممارستها وتشعر بصفائها ولذتها فإن الإيمان النقى له لذة فى القلب عندما تسمو النفس وتصفو الروح وتتنزل أنوار السماء لتنير القلب ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن : ١١] ولهذا جاءت الآية الكريمة فى دستور المسلمين حيث يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿. . . . يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة : ١١]

وإذا كان الإسلام دعا إلى الشجاعة وحث الشباب عليها لأنها عماد الفضائل والشجاعة المقصود بها الثبات على المبدأ أو عدم الجبن أو التراجع عن الحق أو الفرار أمام العدو لهذا يقول الله : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلاَ تُوَلُّوهُمُ الأَدْبَارَ . وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفاً لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المَصِيرُ﴾ [الأنفال : ١٥-١٦] . ويقول تعالى : ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال : ١٧] . والجانب العملى فى الإسلام يملأ حياة الشباب بالمهم من الأمور حتى لا يكون هناك فراغ يتسبب من ورائه انحراف أو خروج عن جادة الطريق وقد رسم الإسلام فى هذا الموضوع الخطوط الأساسية مثل تكوين العقل ودعوته للنظر فى ملكوت السماوات والأرض والتدبر فى الآيات المبثوثة فى الكون يقول الله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ١٩٠] . ويقول ﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ . وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات : ٢٠] .

وإذا كان الإسلام قد رسم المناهج ووضع كذلك الخطوط لتربية

الجسم بالرياضة البدنية التى تقوى البدن وتزيد من صلابته يقول الرسول ﷺ : « حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية وألا يرزقه إلا طيبا » . لأن هذه هى مقومات الشخص السليم الذى يصلح أن يكون لبنة طيبة فى كيان أمة عظيمة لتنهض بأداء الواجب المنوط بها فى تلك الحياة ولقد كان الرسول ﷺ وهو القدوة لأمته يتسابق مع السيدة عائشة فى الجرى وهذا نوع من التنشيط البدنى كما ورد أن الرسول ﷺ عندما دخل مكة لأول مرة بعد الهجرة نظر أهل مكة إليه وإلى أصحابه وقالوا أكلتهم حمى يثرب فرمل الرسول عند السعى بين الصفا والمروة ثم التفت لأصحابه قائلا : « رحم الله امرأ أرى القوم من نفسه قوة » ولقد كان من نتيجة هذه التربية الصحيحة التى اتسمت بصقل النفس وتهذيب الخلق وتربية البدن وتقوية العضلات أن ظهرت آثاره فى بناء المجتمع الإسلامى وتقدمت الحضارة الإسلامية وأسهمت فى رقى الأمة وتقدمها والرسول ﷺ ضرب مثلا لأصحابه بأنه ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب لأن الغضب قوة نفسية تسيطر على كيان الفرد وتقود زمامه لتخرجه عن جادة الصواب وتلقى به فى أحضان الشيطان من هنا جاءت تلك الحكم الغالية بأن الإنسان القوى الشديد ليس بعضلاته وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب لأنه بهذا استطاع أن يتحكم فى نفسه .

كذلك يلفت الرسول ﷺ نظر الشباب خاصة والإنسانية عامة بأنه "لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه" إنها دعوة إلى سلامة الصدر من الأحقاد وعدم التعالى على الناس كما أنه ينزه الإنسان من الأنانية المهلكة والانعزالية القاتلة وإذا كان المسلم للمسلم كالبنيان يشد

بعضه بعضا فلابد من التآلف الذى ينتج عنه التعاون ويتحقق من ورائه الإخاء ليتحد الجميع وينصهروا فى بوتقة الإيمان فيكونوا كما شبههم الرسول ﷺ « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

إن تربية الإنسان منذ الصغر على التزام الواجبات وحسن العلاقات بالناس والخير لإخوانه كل هذا يؤصل فى نفسه معانى السمو والإخاء ليتحقق من وراء ذلك النجاح قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال : ٢٤] . والحياة هنا هى حياة القلب أولا وحياة البدن ثانيا فإن البدن الذى يحيا بلا قلب بدن مهزوز كالريشة المعلقة فى الهواء . خال كالطبل الأجوف والبيت الخرب . إن منهج الإسلام فى تربية الشباب يعتمد على كل هذا وغيره كثير .

والقرآن الكريم ضرب مثلا رائعا لمجموعة من الشباب لم يعجبهم الانحراف السائد فى مجتمعهم وكما نعلم الانحراف فى كل شىء سواء فى العقيدة أو فى العبادات أو فى المعاملات أو السلوك الشخصى أو الجماعى كل ذلك بلا شك يؤثر تأثيرا بليغا على كيان الأمة ومدى تقدمها يقول الله فى شأنهم : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف : ١٣] . لأن الإيمان بالله هو أساس العمل الناجح والزيادة فى الخير لم تأت إلا بعد استكمال الإيمان وثبات العقيدة وعندما استكملوا مقومات العمل الصالح قاموا فقالوا : ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهاً لَّقَدْ قُلْنَا إِذاً شَطَطاً﴾ [الكهف : ١٤] .

إنهم تأملوا بفكرهم فى الكون وما حوى والليل الذى يعقب النهار

فدعاهم ذلك إلى أن يعترفوا بأن كل هذا ليس وليد الصدفة ولكنه قام على تدبير وأحكام وهذه السماء التى رفعت بلا عمد والأرض التى فرشت وازينت بما فيها وكل شىء فى الوجود وراءه يد تسيطر عليه وقوى خفية تتحكم فيه ولهذا عابوا على قومهم الذين اتخذوا آلهة متعددة صنعوها بأيديهم أو صوروها بخيالهم ونسجوا حولها القصص والأساطير ليس لديهم برهان يأتون به ليكون شفيعا لهم فى تمسكهم بهؤلاء الأرباب مع أنها تدعى فلا تجيب ويدار حولها فلا تحس ويتقرب إليها فلا تملك نفعا لمن يعبدها ولا دفع الضر عنه وصدق الله العظيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج : ٧٣] . ولهذا قال الشباب فى اعتراضهم على كل ذلك ﴿ هَؤُلاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً ﴾ [الكهف : ١٥] اعتزلوا قومهم وابتعدوا عنهم لأن الشباب إذا كان سليم البنية صحيح العقل لا يقر أى انحراف ولا يرضى به فى مجتمعه .

وعندما اعتزل الشباب قومهم تطلعوا إلى السماء وكأنما يناجون الإله القوى ويقولون يا ربنا إن هذا المسلك الشاذ من قومنا لا نرضى به فهيئ لنا من أمرنا رشدا فاستجاب الله لهم لأنه سبحانه لا يتخلى عن صاحب القلب النقى والعزيمة الفتية ولذلك عندما رقدوا فى الغار والخوف تملكهم بإجبارهم وقهرهم على عبادة الأصنام والسير فى طريق المجون وهذا ما دعاهم إلى الهروب من قومهم . لذلك أكرمهم الله فألقى عليهم

النوم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ثم استيقظوا بعد ذلك وقد تغير الحال بالمدينة وتبدل أهلها وذهب الظالمون وأصبح على رأس المدينة حاكم صالح عرف شأنهم وأنهم الفتية الذين ذهبوا فى غابر الزمان خوفا على عقيدتهم فذهب إلى مكانهم وكانت أرواحهم قد سلبت فأقام عليهم مسجدا رمزا لصلاحهم ودليلا على أن أصحاب العقيدة يفنى الزمن وذكرهم باق ونورهم ساطع يظل ينير الطريق للرواد القادمين من بعدهم السائرين على نهجهم .

فيا شباب اليوم إن الإسلام بمنهجه السليم وأصالة قيمه هو المسكن لآلامكم المريح لأعصابكم الشافى لكافة الاضطرابات النفسية فتمسكوا بقيمه وسيروا على نهجه تسعدوا فى دنياكم وتتبوءوا منازل العلماء الذين رفع الله قدرهم وسدد على طريق الخير خطاهم ﴿ وَمَن يَتَّقِ اللهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً ﴾ [الطلاق : ٣] .

ولقد تربى فى حضن الإسلام شباب نهلوا من منهله وشربوا من مورده .

ومورد الإسلام هو القرآن . فحفظ التاريخ أسماءهم وإذا كان خير ما يضرب به المثل للشباب هو على بن أبى طالب الذى أسلم قبل العاشرة من عمره وله مواقف مشهورة فى الدفاع عن الإسلام والذود عن حياضه به . لأنه الفدائى الأول الذى تحدثت عنه كتب السيرة وذكره التاريخ بالإجلال والإكبار ولقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب .

فعودوا إلى تاريخكم واقرءوا سير أبطاله وخذوا منهم القدوة والأسوة يكن الله معكم ولن يتركم أعمالكم .

قلت لمحدثى إن الإسلام يفتح جناحه لكم لأنكم . أنتم يا شباب أمل الأمة الباسم وغدها المشرق وأنتم فى الحياة لكم آمال عريضة وأهداف منها القريب ومنها البعيد ولابد لكم من قوة تسندون ظهركم إليها ولن تجدوا القوة إلا فى ظلال العقيدة التى تربطكم بالله وتجعلكم تراقبونه مراقبة القريب الحبيب وقوة العقيدة تجعل الإنسان قويا ولو لم يكن فى يده سلاح فليملأ قلبه بالرضا والغنى وإن لم يكن فى جيبه مال عزيز ولو لم يكن له أهل ولا عشيرة فليستمد قوته من الله الذى يقول : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّه العِزَّةُ جَمِيعاً﴾ [فاطر : ١٠] . وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الفُقَرَاءُ إِلَى اللهِ﴾ [فاطر : ١٥] . وإن أية أمة من الأمم لا تسعد إلا ببنيها الأقوياء وشبابها الأعزاء الذين يستمدون قوتهم من الله ويعلمون علم اليقين أن ما أصابهم من شىء فبإذن الله وإن الإنس والجن لو اجتمعوا على أن ينفعوا الإنسان بشىء فلن ينفعوه إلا بشىء قد كتبه الله له ولو اجتمعوا على أن يضروه بشىء لن يضروه إلا بشىء قد كتب الله عليه . يرددون آناء الليل وأطراف النهار ما قاله القرآن تعليما وإرشادا للمؤمنين الصادقين وحملة الرسالات من الهادين المهتدين ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ الله لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة : ٥١] . عند هذا الإيمان المطلق والارتباط بالعقيدة الصحيحة والتعلق بالله يعتقد المؤمن أن رزقه مقسوم ولن يستطيع إنسان مهما كانت سطوته أن يمنع عنه رزقه لأن الحق سبحانه يقول : ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ

رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ﴾ [هود: ٦] . وكذلك الأجل محدود ونفس الإنسان فى الدنيا محدودة . فلن يستطيع أى إنسان أن يقدم أو يؤخر أجل إنسان وصدق الله تعالى ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل: ٦١] . ولقد ضرب أصحاب رسول الله ﷺ المثل الأعلى فى فهم هذه الأمور فكانوا يتوكلون على الله توكلا ليس فيه استرخاء أو كسل وإنما هو التوكل المليء بالشحنة القوية من الإيمان الذى يغمر قلب المؤمن بالسعادة والاطمئنان ويجعله يخوض البحر وهو واثق بنصر الله وقد حدث أن جيشا من المسلمين كان بينه وبين عدوه نهر فأمرهم القائد أن يخوضوه ، ولبوا الأمر وخاضوا النهر والعدو يشهدهم من بعيد دهشا مرتاعا لما رأى وقد كان الرجل يذهب إلى الميدان مجاهدا فى سبيل الله فيعترض سبيله المعوقون ويقولون له لمن تترك أولادك فيجيبهم قائلا علينا أن نطيع الله كما أمرنا وعليه أن يرزقنا كما وعدنا فيذهب هؤلاء المعوقون إلى زوجة الرجل المسلم ويثيرون مخاوفها على رزقها ورزق عيالها ويقولون لها ذهب زوجك إلى الجهاد فمن يسعى عليك وعلى العيال فتجيبهم فى ثقة واطمئنان زوجى عرفته الكال ولم أعرفه الرزاق فإن ذهب الكال فلن يذهب الرزاق .

بهذه التربية الأصيلة لابد أن يتربى المسلم وأن يتعود على الخلق الكريم لأن الإيمان فى حقيقته ليس مجرد عمل لسانى ولا عمل بدنى وإنما هو يحيط بجوانب النفس كلها علاوة على إذعان القلب والانقياد لأوامر الله ولهذا قال الله فى وصف المؤمنين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[الحجرات: ١٥] .

روى ابن الأثير فى تاريخه أن المسلمين فى أثناء فتحهم لديار فارس حال نهر دجلة بينهم فجمع سعد بن أبى وقاص القائد العام لهذه المعركة التاريخية وأمير الجيش الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال ألا إنى قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم . فقالوا جميعا عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل . فهب الناس إلى العبور وأذن لهم فى الاقتحام وقال قولوا نستعين بالله ونتوكل عليه حسبنا الله ونعم الوكيل والله لينصرن الله وليه وليظهرن دينه ليهزمن عدوه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، وتلاحق الناس فى دجلة "أى" مشوا على الماء وهم يتحدثون كما يتحدثون فى البر وطبقوا دجلة حتى ما يرى من الشاطىء شىء ونظر الكافرون إلى هذه الروح القوية التى يبديها المسلمون فينازلون العدد الكثير وهم قليل ويتحدون السلاح والاستعداد والقوى المتطورة غير متكافئة وما علم المنافقون والكافرون أن لله جنودا لا يرونها بأعينهم وإنما هى تنزل على المؤمنين الصادقين وصدق الله العظيم ﴿ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال : ٤٩] .

إن الإيمان يجعل المؤمن يستهين بالقوى المادية لأن منطق المادة لا يستعبده ولا لغة الأرقام تذله لأنه موصول القلب بالله لا يخشى الناس قلوا أمامه أو كثروا مادام متمسكا بالحق وإليه يدعو وصدق الله العظيم : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ ﴾[البقرة : ٢٤٩] .

لقد تحدثت معكم على أن من صقل نفسه بالتربية الحقة وتعلق بأسباب السعادة الحقيقية وانتمى إلى حزب الله وحزب الله هم المؤمنون

الصادقون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون عندئذ يشعر الإنسان بسكينة تغمر قلبه ويكتب له التيسير والنجاح والفلاح لقد قرأت فى مجلة المختار أن شابا من الشباب وضع لنفسه جدولا لطلبات الحياة المعترف بها وهى الصحة - الحب - الموهبة - القوة - الغنى - الشهرة . ثم تقدم بهذا الكشف إلى رجل شيخ حكيم فنظر فى هذا الكشف ثم قال للشاب جدول بديع وهو موضوع على ترتيب لا بأس به ولكن يبدو لى أنك أغفلت العنصر المهم ثم ضرب بالقلم على الجدول وكتب كلمتين "سكينة النفس" .

وقال هذه هى الهبة التى يدخرها الله لأصفيائه إنه يعطى الكثيرين الذكاء والصحة والمال والشهرة .

أما سكينة النفس فإنه يمنحها بقدر لأصفيائه وأحبابه هذا كلام رجل لا يؤمن بالرسالة السماوية التى نزلت على قلب سيدنا محمد وهى حقيقة واقعة فإن أكثر الناس فى الحياة يعيشون فى قلق وضيق واضطراب وحياتهم لا طعم لها ولا مذاق وإن ملئت جيوبهم بالمال وحفلت بيوتهم باللذائذ والمرفهات لأنهم لا يعرفون لأنفسهم هدفا ولا يفقهون لدنياهم سرا .

أما المؤمن فإن السكينة فى قلبه ثمرة من ثمار الإيمان فهى نفحة من السماء ينزلها الله على قلوب المؤمنين من أهل الأرض ليثبتوا إذا اضطرب الناس ويرضوا إذا أسخط الناس ويوقنوا إذا شك الناس ويصبروا إذا جزع الناس فى ظل هذه السكينة التى هى من فيض الإيمان يسكن الخائف

ويطمئن القلق ويستروح المتعب ويقوى الضعيف ويهتدى الحيران وفى هذا يقول ابن القيم فى القلب شعث لا يعلم إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته وفيه قلق لا يسكن إلا بالاعتماد عليه والفرار إليه وفيه نيران وحسرات لايطفئها إلا الرضا بأمره وتهيئة قضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له لو أعطى الدنيا وما فيها لن تسد تلك الفاقة أبدا .

فيا شباب محروم من ابتعد عن ربه ، شقى من ابتعد عنه ، ونحن نرى ببصيرتنا وبصرنا أن الناس لم يخلقوا من غير شىء ولم يخلقوا هم أنفسهم ولم يخلقوا مما حولهم ذرة فى الأرض ولا فى السماء وهنا يلفت القرآن نظرهم فيقول ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ . أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٦] ويقول : ﴿ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ . الله الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ قَرَاراً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ الله رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ الله رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [غافر: ٦٢-٦٤] ويقول : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ . الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُوا لله أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١-٢٢]

فليكن الدليل أمامكم واضحا واسلكوا سبل الهدى والتزموا الطريق السوى وضعوا أمام أعينكم نهاية رجل ملحد من المتشككين فى الله عندما حضرته الوفاة فقال :

لعمرك ما أدرى وقد أذن البلى بعاجل ترحالى إلى أين ترحالى

وأين محل الروح بعد خروجه عن الهيكل المنحل والجسد الفانى

وبلغ ذلك أحد الصالحين فقال إجابة على تساؤله . وما علينا من جهله إذا كان لا يدرى إلى أين ترحاله فنحن ندرى إلى أين ترحالنا وترحاله قال تعالى : ﴿ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ . وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]

فخذوا حذركم يا شباب وتمسكوا بالعقيدة الصحيحة والله يأخذ بيدنا ويدكم إلى طريق الخير .

رائد على طريق الخير

الإسلام هو دين السمو النفسى والكمال الخلقى وضع قوانين واضحة لرعاية الإنسان منذ مولده إلى انتهاء حياته . فى كل لحظة من لحظات الإنسان فى حياته نجد للإسلام رأيا يأخذ بيده إلى الكمال ويسمو به فوق الغرائز ويحلق به فى عالم الطهر والعفاف وأهم مرحلة فى حياة الفرد هى مرحلة الشباب التى يكون فيها الشخص بحكم طبيعته فى عنفوان القوة والحيوية ومن هنا رأينا الرسول ﷺ يوجه هذه القوة الحيوية إلى العمل البناء والتدريب على الرياضة لبناء الجسم ليكون الجسم سليما فإن العقل السليم فى الجسم السليم . ولقد جاء فى وصف رسول الله ﷺ أنه كان أحسن الناس خلقا وأجود الناس وأشجع الناس . ولقد فزع أهل المدينة ليلا فركب فرسا لأبى طلحة عريا فخرج الناس فإذا هم برسول الله ﷺ قد سبقهم إلى الصوت قد أستبرأ الخبر وهو يقول لن تراعوا . إنه مافعل ذلك إلا عن طريق الشجاعة التى اكتسبها من ركوب الخيل والرماية والمصارعة التى حفظت عليه طبيعة جسمه القوى ونحن نعلم من بدء حياة النبى ﷺ أنه لم يشرب الخمر التى يؤثر على العقل وتضر الجسم وتفتك بقواه كما أنه لم يكن من أصحاب المكيفات التى يرتبط بها ويتناولها ويتأثر بغيابها عنه بل هذب نفسه وأصلح قلبه واتصل بربه عن طريق الطاعات والعبادات ولذلك كان ﷺ عظيم الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام يقول أبو هريرة رضي الله عنه ما رأيت أحدا أسرع من رسول الله ﷺ فى مشيه كأنما الأرض تطوى له . ومن المعلوم أن المشى من أهم

الرياضات ولذلك ورد أن رسول الله ﷺ لما دخل الكعبة بعد صلح الحديبية وقف المشركون ينظرون إليه وإلى أصحابه ويقولون فى شماتة . هؤلاء قوم أنهكتهم حمى يثرب فلن يستطيعوا الطواف بالكعبة وبلغت الكلمة إلى مسامع رسول الله ﷺ فقال لأصحابه رحم الله امرءًا أرى القوم من نفسه اليوم قوة ثم هرول فى مشيه دليلا على القوة ومظهرا من مظاهر سلامة الجسم . . وكل ذلك يوحى بأن الإسلام يهتم بالشباب ويأخذ بيده إلى كل ما من شأنه جلب السعادة له ليهنأ فى حياته بالصحة التى هى تاج على رءوس الأصحاء . . ولقد كان رسول الله ﷺ قدوة طيبة للشباب الذين اجتمعوا حوله وآمنوا به وضحوا فى سبيل العقيدة التى آمنوا بها بكل مرتخص وغال . لقد كان صحابة الرسول ﷺ أقوياء ووجهوا قوتهم للدفاع عن الحق وضد الباطل ولذا وصفهم القرآن الكريم بقوله : ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح : ٢٩] . ولقد اكتسبوا تلك القوة عن طريق التدريب المستمر فلقد ورد أن رسول الله ﷺ مر على مجموعة من الشباب وهم يتدربون على الرماية فقال لهم ارموا بنى إسماعيل فإن أباكم كان راميا . ارموا وأنا مع بنى فلان فأمسك أحد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله ﷺ مالكم لا ترمون . . قالوا كيف نرمى وأنت معهم . فقال ارموا وأنا معكم كلكم .

إن هذا العمل الجليل من رسول الإنسانية يدلنا على مدى تواضعه أولاً ، وحبه للرياضة ثانياً . فهو يتواضع ويلعب مع الشباب مما جعل أحد الفريقين يمسك عن الرمى إكراماً واحتراماً وإجلالاً لرسول الله ﷺ الذى أصبح مع الفريق الثانى وهذا السلوك العملى من هذا النبى العظيم

يجعل التدريب على الرياضة وممارستها أمراً مستحباً لكل إنسان . . إن اللياقة البدنية والثقة بالناس والنفس هما من عوامل النصر متى استكمل الشخص الاستقامة وحسن الخلق . ولقد ضرب أصحاب رسول الله ﷺ مثلا رائدة فى هذا المجال .

وأمامنا اليوم بطل من الأبطال الكرام وشاب من خيرة الطلائع القيادية التى مارست العمل بمهارة وجدارة وأسهمت فى نشر الإسلام وضحت بدمها فى سبيل العقيدة وتلبية لنداء الحق ﴿ إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ١١١] . والذى سنقف أمامه طويلا نتعرف على حياته هو " جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب " أسلم وهو ابن ثمانى عشرة سنة كان أكبر من على كرم الله وجهه . بعد إسلامهم عذب وأوذى فى الله فتحمل وصبر وقد أشار الرسول ﷺ على بعض أصحابه أن يهاجروا إلى الحبشة وكان جعفر من بين المهاجرين . وقد أرسلت قريش إلى النجاشى رسولين يحملان الهدايا ويطلب من النجاشى أن يرد المهاجرين إلى ذويهم بمكة ولما وصل الرسولان وهما عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص إلى النجاشى قالا له أيها الملك إنه قد (جاء) إلى بلدك عمال سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فأبى النجاشى أن يسلمهم إليهما حتى يأتى

بهم فيسألهم ثم أرسل النجاشى إليهم فسألهم عن الدين الذى فارقوا فيه قومهم ولم يدخلوا فى ملة من الملل فقال جعفر بن أبى طالب " الشاب الذى نتحدث عنه " لأنه تربى فى المدرسة المحمدية على البطولة والتضحية فكان من النوابغ الذين يحسنون الدفاع بالكلام كما يحسنون الدفاع بالسيف فى المعارك قال جعفر أيها الملك . . كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام فصدقنا به وآمنا فعدا علينا قوم فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى كبلادك واخترناك على من سواك ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك .

فلما سمع النجاشى هذا من جعفر رد الهدايا إلى الرسولين وأبى أن يسلم إليهما هؤلاء العمال من المهاجرين وقد مكث جعفر هو وإخوانه بالحبشة إلى أن كانت السنة السابعة من هجرة النبى ﷺ فهاجروا جميعا إلى المدينة وكان قدومهم بعد فتح خيبر وقد لقى الرسول ﷺ جعفر فقبله بين عينيه وقال ما أدرى بأيهما أنا أشد فرحا . . بقدوم جعفر أم بفتح خيبر ويشعر المستمع لحديث جعفر أنه وصف المجتمع المكى من خلال القيم والمبادئ . . أن جعفر الذى دافع بالكلمة عن الإسلام أمام النجاشى بدأ يعد نفسه للدفاع عن الإسلام بالسيف ففى السنة الثامنة من الهجرة

أرسل النبى ﷺ جيشا إلى الشام وكان عدد الجيش ثلاثة آلاف رجل وقد أمر الرسول ﷺ على هذا الجيش زيد بن حارثة وقال لهم إن أصيب فجعفر بن أبى طالب فإن أصيب فالأمير عبد الله بن رواحة وهنا يتبين لنا أن الإسلام لم يهمل حق الشباب فى القيادة والريادة إذا توافرت الصفات المطلوبة فيهم وقد خرج الجيش تحت إمرة زيد بن حارثة وقوامه ثلاثة آلاف مقاتل ووصلوا إلى مؤته ودارت معركة رهيبة بين الروم ونصارى العرب من جانب والمسلمين من الجانب الآخر وقتل زيد بن حارثة وتولى القيادة جعفر بن أبى طالب وحمل الراية وهو يقول :

يا حبذا الجنة واقترابها طيبة وبارد شرابها

والروم روم قد دنا عذابها كافرة بعيدة أنسابها

على إذ لاقيتها ضرابها

وأخذ جعفر يقاتل بشجاعة وبسالة واحاط العدو بفرسه من كل جانب وقد اصابته ضربة قطعت يده اليمنى فأخذ اللواء بيده اليسرى وأخذ يقاتل بشجاعة وبسالة حتى أصابته ضربة قطعت يده اليسرى فاحتضن اللواء بفخذيه وقد فعل ذلك حتى لا يسقط اللواء على الأرض ومع أن يده اليمنى مصابة واليسرى كذلك فقد ظل يقاتل ويقاتل لا يبالى أوقع على الموت أم وقع الموت عليه لأنه يريد الوصول إلى غرض شريف ولقد أصيب بتسعين ضربة بالرمح والسيف إلى أن سقط كريما عزيزا شهيدا فى ميدان المعركة وكان سنه عند الشهادة ثلاثا وثلاثين سنة . وقد لقى ربه بعد حضوره من الحبشة بعام واحد . ولقد كان الرسول ﷺ يحبه

ويقول له أشبهت خَلْقى وخُلقى كما أنه كان يحب المساكين ويخدمهم بنفسه ويجلس معهم ويتودد إليهم ولنا أن نتأمل فى أمثال من فى سن جعفر نجدهم يقفون بالساحات على النواصى يضيعون وقتهم ويتعرضوا للغاديات الرائحات بألفاظ نابية وعمل ليس من خلق الرجل وكان الوقت لدى شبابنا ليست له قيمة فهم يقتلونه ويضيعونه وما درى الواحد منهم أنه ما من يوم ينشق فجره إلا وينادى مناد من قبل الحق يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنمنى وتزود منى فإنى لا أعود إلى يوم القيامة .

إن شبابنا اليوم عليهم أن يقرأوا تاريخ هؤلاء الصفوة الكرام من الذين ضربوا أروع الأمثلة فى بناء نهضتنا الخالدة وجادوا بشبابهم فى سبيل المبدأ والعقيدة وأن سيرة هؤلاء الرجال لهم خير زاد لشباب أمتنا فى العصر الحاضر لأننا الآن ننفض عن أنفسنا غبار الماضى ونحاول بناء أمتنا وتسجيل تاريخا وتعمير أرضنا والبناء المثمر لكل مرافق الدولة وكل هذه الأمور تحتاج إلى عزم فتى وقلب قوى ولن يتأتى ذلك إلا من الشباب الذين عمرت قلوبهم بالإيمان واستمدوا عزيمتهم من قوة عقيدتهم ووضعوا أمام أعينهم نماذج طيبة من الشخصيات العظيمة التى أسهمت فى بدء مجدنا التليد وعظمة أمتنا فى تاريخها الجديد ، وجعفر بن أبى طالب الذى أبدله الله بجناحين يطير بهما فى الجنة وسمى جعفر الطيار لأنه دافع عن الإسلام بلسانه كما دافع عنه بسيفه فليكن لنا مثلا نقتدى به ونورا على الطريق يهدينا إلى الخير ويشدنا إلى مواطن العزة والشرف وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

صراع وانتصار

إن الشباب اهتم به القرآن وهو دستور المسلمين وضرب له أمثلة حية من واقع المجتمعات التى عاشت على الكرة الأرضية والقرآن عندما تعرض بضرب أمثلة من القصص الحية التى عاشت فإنه يعقب بقوله : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾[يوسف : ١١١] . والشباب الذى يبدأ منذ صغره على آداب الدين وحثه على التمسك به وإقامة شعائره ليكون يقظ الضمير يشعر برقابة الله عليه فإنه يكون نافعا لأمته مفيداً لوطنه يخدم الإنسانية ويعيش وهو سعيد النفس مطمئن القلب هادئ البال لأن الدين سكينة واطمئنان وصدق الله العظيم ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾[محمد : ٢] .

ثم إن نبينا ﷺ صور لنا العلاج الواقى للشباب فى أى بيئة وفى أى زمان ووضع له النماذج الطيبة التى تهديه وتقوده إلى سبل الخير وأسس السعادة فهو ﷺ يخاطب الشباب خطاب الناصح الأمين والرائد الموجه فيقول لهم " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء " .

وجاء هذا التوجيه السديد للشباب بقصد حمايتهم وعدم انتشار الأمراض بينهم والانزلاق إلى مهاوى الرذيلة والضياع فى دنيا تتلفه وتذهب بشبابه ولذلك يقول ﷺ " عجب ربك من شاب ليس له صبوة "

بمعنى أنه لا تجرفه النزعات الشهوانية ولا تقوده الغريزة وإنما يجمع نفسه خوفا من حساب الله فإذا كان الشباب بهذه الصورة تقى النفس نقى الضمير سلوكه حسن فإن الرسول ﷺ يبشره بالفوز والسعادة دنيا وأخرى لذلك يقول فى حديث طويل " سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله " وذكر من هؤلاء السبعة شاب نشأ فى عبادة الله . كما أنه قد ورد فى حديث قدسى عن رب العزة " أحب ثلاثا وحبى لثلاثة أشد : أحب التائبين وحبى للشباب التائب أشد ، إن الإسلام بما فيه من محاسن وضع أمام الشباب طريقا مستقيما لا عوج فيه ولا انحراف لأنهم عدة الأمة وأملها وعقلها المفكر ومرحلة الشباب تبدأ من العشرة الأولى إلى أواخر العشرة الثالثة وفى بدايتها يبدأ الشاب مرحلة انقالية تتسم بالنضج الجسمانى وتبدأ بالتطلع إلى الأكبر منه سنا ومحاولة تقليده ليثبت وجوده ومن هنا كان على المجتمع أن يهيىء له الظرف المناسب وتهيئة المناخ أمام عينيه ليتلاءم مع هذا النضوج والتغير . ولما كان الشاب يتنقل بين البيت والمدرسة والمجتمع كان لابد من التعاون بين تلك الأجهزة لتقديم الزاد الذى يفيد الشاب من قدوة طيبة تتمثل فى الأب والمدرس وما يقدم إليه من كلمة مقروءة أو مسموعة وأن يستعان بمختلف العوامل والمؤثرات التى تناسب فكره ويستطيع الاستفادة منها والعمل على إزالة أسباب الفساد من أمام عينيه وتنقية الكلمة التى تلقى على مسامعه والصورة التى توضع أمام عينيه ليشب قوى العقيدة له عزيمة وإرادة بعيدا كل البعد عن الميوعة والتخنث والطراوة وربط جوانب شخصيته بكتاب الله الذى يصور له الحياة الدنيا وما فيها والعمل الصالح وثمرته وإتقان الصنعة

ونتيجتها كل ذلك بأسلوب يعبر عما تنطوى عليه نفسه لأن القرآن الكريم هو كتاب الله خالق القوى والقدر والذى خاطبنا به من علياء سمائه وهو فى نفس الوقت تعبير عما يجيش بخواطرنا وما تتفعل به نفوسنا وسوف نقف أمام شخصية كانت فى سن الشباب . سن الانفعال والتأثر والانزلاق ولكن تلك الشخصية التى يبين القرآن معالمها اعتصمت بالله فهديت إلى صراط مستقيم . إنها شخصية الصديق الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب وعندما نقرأ سورة يوسف نستخلص منها مايأتى :

١ - يوسف شاب صغير نشأ فى أسرة متدينة تلتزم بتعاليم السماء وتطبق هدى الأنبياء ولها سمعة طيبة فى البيئة التى تعيش فيها وكان يتمتع بمنظر جميل وشخصية لها مميزات جسمانية غير متوفرة فى أخوته لهذا تآمر إخوته على سبيل إبعاده عن مسرح حياتهم والبيئة التى يحيون فيها .

٢ - استأذنوا اباهم فى أن يذهب يوسف معهم فقال إنى أخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون ولم يكن يدور بخلد يعقوب ما بيته أخوته من التخلى عنه وذهبوا به ورموه فى الجب وشاءت المقادير أن يأتى أحد المارة فيذهب بالدلو ليأخذ الماء فيتعلق يوسف به فيصيح آخذ الماء من فرحه ويقول يا بشرى هذا غلام ويذهب به إلى هذا الركب الذين كانوا مع من أحضر لهم الماء ويبيعون يوسف وتأتى به المقادير فى بيت عزيز مصر .

٣ - عزيز مصر رجل متزوج ويعيش فى حالة من اليسر ورخاء العيش وأسباب النعمة ميسرة فى بيته وزوجته تتمتع بهذا النعيم وليس هناك ما يشغلها غير نظرات تقع منها على يوسف الذى فاق حسنه كل شىء وقعت عليه عيونها فأخذت تتبعه أينما سار وتلحظه أينما وجد ولكن يوسف الشاب فى قلبه إيمان وعنده ضمير فرغم جماله الفتان وحسنه الباهر وقوام عوده ومميزات الجمال الجسمانية الظاهرة عليه لم يكن يلتفت إلى تلك المرأة التى شغلت به وأصبحت وكأنها هى عبدته لأنها انقادت لهواها ومن انقاد لهواه فقد هوى رغم مكانتها الاجتماعية ومنزلتها فى البيئة التى تعيش فيها فقد تحدث الناس عنها ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] وحكموا عليها بأنها فى ضلال مبين وهذا الحكم عليها بأنها فى ضلال مبين وهذا الحكم من النسوة يعطينا دليلا على أن الانحراف والخروج عن جادة الصواب والانزلاق فى مهاوى الرذيلة هو غى وضلال وخروج على مقتضى الفطرة ومع هذا الكلام الذى على لسان النسوة فإن امرأة العزيز لم ترعو ولم تنزجر فكم باتت ساهرة العين مرهفة الحس لتسمع أنفاس يوسف تتردد فى أى مكان لتهب مذعورة ذاهبة إليه تناجيه . تتوسل إليه . تبسط يدها بالمودة ولكن يوسف كان يقول حاشاى أن أخون من أحسن إلى وأن أسىء إلى من أنعم على وأن أنتهك عرض من آوانى فى بيته ثم إن فعلت ذلك فأين أذهب من الله فترد المرأة قائلة إن الأبواب مغلقة والستائر نازلة والشبابيك موصدة وإن أحدًا لن يرانا لقد هيأت لك الأسباب ولكنه يرد عليها إذا كانت الأبواب مغلقة ونحن بين

جدران أربع فإن الله معنا يرانا ويسمع كلامنا ويرى ما يجرى بيننا وربى هذا هو الذى خلقنا وسوانا وأنعم علينا نعما ظاهرة وباطنة أفيليق بنا أن نعصاه لقد أمرنا بالاستقامة ووعدنا عليها الخير ونهانا عن الرذيلة وتوعدنا عليها بالشر الذى نلقاه فى يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون والشر الذى أخاف منه نار حامية وقودها الناس والحجارة فأين المفر ؟ ولكن المرأة تتشبث به وتنظر إليه فى استعطاف مبدية زينتها ناشرة ثوبها باسطة يدها بالمودة ولكنه يقول إنه ربى أحسن مثواى إنه لا يفلح الظالمون فلما وجدت أن توسلاتها ضاعت وتحركت غرائزها قفزت إليه هالعة ففر أمامها ومد يده إلى الباب ليفتحه وتعلقت هى بملابسه من خلفه ورغم تمزق ملابسه تشبث بالباب ففتحه فوجد رب الدار أمامه وزوجها يرى هذا المنظر وقد تعلقت بملابسه وهى فى كل زينتها ولكن يوسف الأمين الصادق لم تهتز له شعرة لأنه لم يرتكب جريمة ولم يحاول خيانة سيده ولا فكر فى هذا لذلك وقف رافع الرأس يتكلم بلسان فصيح ورغم أن المرأة هى التى كانت تجرى وراء يوسف فقد وقفت ودموعها تسيل على خديها وتقول لزوجها ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءاً إِلاَّ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[يوسف : ٢٥] ولكن الحق يجرى على لسان يوسف ويقول هى راودتنى عن نفسى ويشهد الشاهد ويحتكم الجميع إلى ملابس يوسف إن كانت ممزقة من أمام أم من خلف ويقول الشاهد ﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ من دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ من دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[يوسف : ٢٧-٢٨] . ثم توجه إلى يوسف وقال أعرض عن هذا ولا تبح به لأحد ولا تتكلم به فى

مجلس حتى لا تفضح أمرنا ويخوض الناس فى عرضنا وقال لزوجته استغفرى لذنبك وأحجمى غرائزك وهذبى خلقك واستقيمى فإن الاستقامة خير ومضت الأيام وزج بيوسف فى السجن ودخل السجن وهو مظلوم ورغم ذلك لم يتنازل عن مبدئه ولم يتخل عن عقيدته وكان وهو فى السجن يدعو إلى الخير ويهدى إلى الرشد ويبين للمساجين العقيدة الصحيحة من العقيدة الفاسدة ويقول لهم ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [يوسف: ٣٩-٤٠]

إن نور العقيدة إذا غمر النفس طمأنها وبوأها مكان صدق وأسدل عليها الراحة والسكون لذلك مضت الأيام ويوسف فى السجن لا يتبرم لأنه يعلم أن الظلم له ساعة يقف عندها أما الحق فهو الذى ينتصر فى النهاية والصراع بين الخير والشر باق حتى تقوم الساعة . ولكن الخير ينتصر فى النهاية إذا وجد النفوس التى تحمله والقلوب التى تأويه ولن نستطرد فى ذلك ولكننا نصل عند مرحلة معينة لهذا النموذج الفريد من البشر الذى سقناه ليكون لنا عبرة ولشبابنا قدوة فلقد رأى الملك رؤية وطلب من يعبرها له فدلوه على يوسف وفسرها تفسيرا يطابق الحقيقة والواقع وفرح الملك بالتأويل وطلب الملك أن يأتوه به وأن يفرجوا عنه ويخرجوه من سجنه وكان المفروض فيه أن يفرح لأن العفو الشامل صدر له وسوف ينطلق إلى الحرية ولكنه وقف وقال للرسول الذى جاءه أرجع

إلى ربك "الملك" فاسأله ما بال النسوة اللاتى قطعن أيديهن وما الكلام الذى جرى على لسان النسوة وما موقفه من كل ذلك وهل هو مذنب أم برىء وإذا بالنتيجة بعد البحث والتحرى تبين أن يوسف مظلوم وبرىء وشاب نزيه وأمين وتقول امرأة العزيز الآن حصحص الحق أى وضح وظهر ولابد من قول الحق والصدق أنا راودته عن نفسه وأنا التى حاولت إغراءه ومهدت له الأسباب ولكنه اعتصم بإيمانه وخاف من ربه ورعى أمانة سيده وإنه لمن الصادقين فيقول يوسف ليعلم الملك ويعلم الناس إننى لم أخن ولن أخون لأن الخيانة ذل وعار ورغم ذلك لا أبرىء نفسى ثم يطلب يوسف أن يتبوأ خزائن الأرض بمعنى أن يكون وزيرا للمالية والتموين إن صح هذا التعبير ويتبوأ يوسف مقاليد الأمور وتساق إليه الزعامة لأن الأمين لا يتخلى عنه رب العالمين ونقف عند هذا الحد فى تلك القصة الطريفة التى جرت أحداثها على أرض مصر أرض الخير والبركة ونقول لشبابنا يا شباب اليوم هذا رائد لكم على الطريق فاقرأوا قصته فى أصدق كلام وبأحسن أسلوب أعجز الفصحاء والبلغاء لتستفيدوا وينتفع بكم المجتمع ولتعلموا أن المبادىء الفاضلة هى التى يكتب لها البقاء ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد : ١٧] . والعفة خير من الاستهتار وعلى الشباب أن يضيع وقته فى النافع المفيد . وصدق الله العظيم : ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[آل عمران : ١٣٩] .

النظــــام

الإسلام يهتم بالشباب لأنهم أمل المستقبل وبسمة الغد المشرقة على شفاه الأمة ، وهم عدتها لبناء مستقبلها المزدهر . ولذلك يحرص الإسلام على توضيح الصورة لهم وإزالة العوالق من أفكارهم خاصة فى مجتمعنا الذى تفد عليه تيارات فكرية تهز الصورة الواضحة من أمامهم . فيعمل حماة الإسلام على دحض التيارات الملحدة وإبراز الحقائق الناصعة أمام عينيه . الشعار الذى يتردد ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾[الأسراء : ٨١] .

وإذا كان فى مجتمعنا بعض الأمور يسأل عنها الشباب لتتضح الحقيقة أمامه ، فقد قال سائلى من الشباب :

هل الإسلام يهتم بالنظام ويهدف إلى تحقيقه فى المجتمعات ؟

ذلك لأن النظام من شأنه جلب السعادة وتحقيق الأمان .

قلت لسائلى : إن الإسلام يحث أتباعه ويأمرهم بالإيمان بالإله الخالق لهذا الكون المنظم القائم أساسا على النظام المحكم الذى لا يعتوره أى خلل . فيلفت نظره أولا إلى ما يفصح عن ابتلاج الصبح وتنفسه وظهور نوره واضحا كل يوم وظهور الشمس بنظام محكم ودورانها فى فلكها المحدود كما يقول سبحانه وتعالى ﴿لاَ الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٤٠] .

وبهذا الترتيب والتنظيم بدأ الإسلام يرسم للإنسان نظام حياته

اليومى، والأسبوعى والسنوى . وقد لفت الإسلام نظرنا إلى النظام ودقته حيث يقول سبحانه ﴿ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ [الصف : ٤]

ثم ينبهنا إلى الدقة فى النظام وتحديد المواعيد وضبط الوقت فيقول سبحانه ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٨٩] . فهو فى عباداته يقوم على نظام وأوقات محدودة معلومة ثابتة ، فالصلاة هى عماد الدين نرى مواقيتها مضبوطة تبدأ مع الإنسان من لحظة استيقاظه إلى أن يأوى إلى مرقده آخر النهار ليظل طول يومه موصول القلب بالله يغسل عن نفسه أدران الحقد والكراهية ، وإذا أردنا توضيحا أكثر فنقول إن الصلاة منهاج يومى للفرد يعلمه النظام ويحدد له الوقت ويرسم له الطريق المستقيم ، ففى لحظة السحر ومن قبل المشرق يبزغ جيش النور ليهزم جيش الظلام والكون خاشع صامت إذ بكلمات إلاهية نورانية تدعو الناس وتحثهم على النهوض مبكرين للتوجه لبيت كريم يجتمع فيه القوى مع الضعيف والغنى مع الفقير ، والأسبقية فى الصف الأول لمن دخل مقدما ، ثم إذ بالناس يقفون صفوفا متراصة لا عوج فيها ولا خلل ، يقتدون بإمامهم الذى ينساب صوته إليهم . "استقيموا وسووا الصفوف يرحمكم الله" ثم يبدأ عمليا فى تسوية الصف ليكون منظما دقيقا لا عوج فيه ولا التواء ، لأن الذين يختلفون فى صفوفهم تختلف قلوبهم ، وإذا اختلف القلب تفرق عن الجماعة وتخطفه الشيطان ، وتضيع قوة المسلمين فى هذا الاختلاف ، قال تعالى ﴿ وَلاَ تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ [الأنفال : ٤٦] . وقدوتنا فى

هذا أيضا هو رسول الله ﷺ الذى كان يسوى الصفوف فى الصلاة كما يسويهم فى القتال ، لأن من تعود النظام فى الصلاة تعود ذلك فى غيرها من الأعمال ، لأن الصلاة فى اليوم خمس مرات ، فهى تدريب عملى للإنسان على تعود النظام كلما انغمس فى دنياه وتاه فى حياته وانخرط وفى مسلك التسيب ، إذ بالنشيد الإلهى يشده وصوت المؤذن يدعوه . "حى على الصلاة" . "حى على الفلاح" . فيسرع ملبيا مجيبا ، وإذا كنا قد رأيناه فى أول مطلع النهار وقد بدأ حياته بالانتظام فى صف المسلمين ، وتابع إمامه بنظام لا يسبقه ولا يخرج عليه ، فإنه كذلك فى الظهيرة حينما يشتد الحر ويعلو غبار الحركة الدائبة من بيع وشراء وزراعة وصناعة لتستمر الحياة فى مسيرتها ، إذ بالمؤمن يسمع همس ذكره ونبض قلبه فيتطهر من تلك المتاعب والأدران التى رانت عليه . وهكذا فى كل وقت من أوقات الصلاة المحدودة الموقوتة كما يقول الله تعالى ﴿ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً﴾ [النساء : ١٠٣] .

وهذه الصلوات بهذا النظام الإلهى ما هى إلا راحة للقلب أولاً ، وصلة بالله ثانياً ، ورحلة روحية للإنسان تعوده على النظام وضبط الوقت واحترام القيادة والتزام بالمنهج والالتحام مع الجماعة ، لأن الإنسان لم يخلق لنفسه وإنما خلق ليكون عضوا فى أمة تسير على النهج المستقيم . وهذا المنهج اليومى يتكرر ليعوده النظام فى جميع أموره ، يأتى بعد ذلك الصيام وهو تدريب عملى على لون آخر من النظام ، فإذا كنا رأيناه والصلاة تصاحبه فى يومه فإنا نراه إذا حل عليه شهر الصيام فإنه ينخرط فى مدرسة من لون آخر ، إنها المدرسة الجامعة لكل من يقول

"لا إله إلا الله محمد رسول الله" فلا يجوز له أن يقدم من تلقاء نفسه أو يؤخر بل يلتزم بنظام المجموع ، وهذه ممارسة عملية والتدريب معين لتقوية العزيمة والتعود على الصبر وضبط النفس والالتزام بالمنهج الكامل للأمة الإسلامية . ولما كان الصيام يعود الإنسان الكرم والجود فإنه يفرض عليه آخر الشهر نظاماً من نمط آخر من بنى جنسه من البشر ، فعليه أن يخرج الزكاة طيبة بها نفسه ممدودة بها يده لا بخل فيها ولا شح ولا من ولا رياء ، وإنما عطاء وامتثال وتوجه إلى الله بقلب خالص أن يتقبل هذا العمل ثم يبتغى بذلك أن تسير الإنسانية فى أخوة تامة ومحبة صادقة بنظام محكم وتآلف كريم ، فإذا ما خرج من هذا الموسم فاجأه موسم آخر يعلمه النظام بصورة أعم وأشمل : إنها فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلا ، وهناك يجد المسلم النظام بأجلى معانيه فى زيه حينما يتجرد الجميع من ملابسهم المميزة ويلبسون ملابس الإحرام ، شعارهم واحد وهدفهم واحد ومنسكهم واحد "لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه" وفى يوم الحج الأكبر يقفون فى مكان واحد ، والكلمات الصاعدة من أفواههم واحدة ، والاتجاه إلى رب واحد . إن هذا الموقف هو مؤتمر عام أعضاؤه كل من حضر إليه . ﴿ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ [البقرة : ١٩٧] . ولا تنابز بالألقاب . الكل يجد مأمنه فى جو طاهر حتى الطير لا يقتل فيها ولا يروع . نظام عجيب مع الضبط والربط ، فهل تتعظ الإنسانية من هذا وهل تتعود النظام من هذا الوحى الإلهى والتنظيم الربانى لحياة البشر؟

قال سائلى : وماذا تقول فى حال المسلمين اليوم ؟

أجبته : ليس العيب فى الإسلام ، ولكن العيب فى المسلمين الذين لم يعرفوا تطبيق المنهج الإسلامى ، ولم يلتزموا به ، ولم يتدربوا فى مدرسته ، ولم يتعلموا من هديه وتوجيهاته ، فنحن كما قال الشاعر :

نعيب زمــانــنــا والعيب فينــا	ومــا لــزمــانــنــا عيب ســوانــا

ولقد قال الأقدمون قولاً جميلاً فى فائدة النظام والاستفادة منه

أن الــــــــذى يـــــــرتـــب	أعــــمـــــــالــه لا يــــتــعــب
فــكـل شــــــــىء عــنـــــــده	فـــــــى مـــــــوضـع أعـــــده
مـــتـــــــى يـعـــــد إلـــيــه	يـجــــــده فـــــى يــــــديـه
حـــســـن نــــظــــام الـعـمـل	يـــــبــلـــغ نـــــيـل الأمـــل

هذا ما قاله أب من آبائنا الكرام الذين تتلمذوا فى مدرسة الإسلام وتعلموا من قائدها ومرشدها عليه الصلاة والسلام ، فإذا أردنا أن نعود إلى سيرتنا الأولى وحضارتنا القيمة فلنقم النظام الذى رسمه لنا الإسلام فى اليوم خمس مرات فى الصلوات ، وفى الأسبوع يوم الجمعة كمؤتمر شعبى ينتظم فيه أبناء الحى وسكان المنطقة خلف إمام واحد ، فى صلاة جامعة مضبوطة بوقت محدود . وفى العام رمضان والحج يتعود المسلمون النظام من هذا كله ليكون لنا سلوكا فى حياتنا ننعم بهديه فى دنيانا ، ونفوز بالفلاح فى أخرانا ، ونطبق قيم الإسلام ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

السفر.. والانتقال

بدأ موسم الصيف وتفرغ أبناؤنا الطلاب فى الإجازة الصيفية وكل منهم فى الصيف له اتجاه . فالبعض يتجه للخارج للعمل فى الإجازة ، والبعض ينوى التوجه إلى الشواطىء للاستمتاع بالماء خلال تلك الفترة التى يشتد فيها الحر . والبعض يفكر ماذا يصنع . وهكذا وأيام الشباب هى أحلى أيام العمر ، وهى رأس مال الإنسان ورصيده للمستقبل .

والإسلام يرسم المنهج الطيب ويوضح الصراط المستقيم الذى يجب على شبابنا أن يسلكوه ، وقد رغبنا ربنا جل وعلا فى السير فى الأرض والتنقل فيها لأخذ العبرة والوقوف على ما فى الكون من آيات بينات يقول الله سبحانه ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ﴾ [العنكبوت : ٢٠] . وهذه دعوة مفتوحة لكل إنسان أن يسير فى الأرض ويتأمل فيها ويقف عند أطلالها ، ويسأل أين الذين ملكوا وعمروا وشيدوا ؟ عند ذلك سيكون الدليل أمام عينيه واضحا . إن الله الذى خلق الذين عمروا وسكنوا وأنهم عاشوا المدة المحددة لهم ثم انتقلوا من دنياهم وتركوا آثارهم شاهدة عليهم تحدث عنهم وتقص أخبارهم وهم قد قدموا إلى ما قدموه من عمل . وعلى هذا نقول لشبابنا الذين سيتجهون إلى الخارج بلا شك أنتم ستبحثون عن عمل تكسبون من ورائه الخبرة وتحصلون كذلك على المال وهذا شىء لا اعتراض عليه مطلقا . بل نشجعكم على ذلك ونحثكم عليه لأن الإسلام دعوته مفتوحة فى كل زمان والله سبحانه يقول ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللهِ وَاذْكُرُوا اللهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ

تُفْلحُونَ ﴾ [الجمعة : ١٠] الإسلام إذا دين عمل وجد واجتهاد . وكذلك قالَ الله سبحانه ﴿فَلَوْلاَ نَفَرَ من كُلِّ فرْقَة مِّنْهُمْ طَائفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا في الدِّين وَلِيُنذرُوا قَوْمَهُمْ إذَا رَجَعُوا إلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٢] فالإسلام يرحب بزيادة المعرفة فى العلوم التى تزيد الإيمان وتقوى اليقين ، وكون الشباب يسافر من بلد إلى بلد ليتعرف على أشياء قد تغيب عنه ولا تصل إليه ، أمر مرغوب فيه ، ولذا يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه :

سافر تجد عوضا عمن تفارقه

وانصب فإن لذيذ العيش فى النصب

إنى رأيت وقوف الماء يفسده

إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

وفى الحث على العمل وترك الكسل يقول الشاعر :

الجد فى الجد والحرمان فى الكسل فانصب تصب عن قريب غاية الأمل

وتأمل قول رسول الله ﷺ " إن الله يحب المؤمن المحترف " وعنه ﷺ " ما كسب الرجل كسبا أطيب من عمل يده " .

فالسفر لتحصيل العلم وزيادة المعرفة والتعرف على ما على ظهر الأرض ، كل ذلك خير . كما أنه يجب على الشاب وهو مسافر أن يعتصم بدينه ويلوذ بخلقه ويحافظ على الصلاة ، لأن الناس فى كل مكان يقدرون الشاب التقى اللائذ بدينه ، المعتصم بأخلاقه ، الذى لا تخدعه الدنيا ولا تجرفه الشهوات ولا ينزلق فى مهاوى الرذيلة ، ونحن كمسلمين لابد أن نعلن عن إيماننا وأن نشعر الدنيا أننا نحترم عقيدتنا ،

وبذلك نكسب رضاء الله الذى بيده مقاليد الأمور ، وهو يسهل لنا كل خير ويذلل لنا كل صعب ويفتح لنا أبواب الخير. إن بعض الشباب تجرفهم حياة الأمم الأخرى فسرعان ما ينسلخون عن دينهم ويجرون وراء المتع الرخيصة ولم يسمعوا قول الدنيا :

هى الدنيا تقول بملء فيهـا   حذار حذار من بطشى وفتكى

فلا يغرركموا منى ابتســام   فقولى مضحك والفعل مبكى

إن الذين ينسلخون من إيمانهم ويتخلون عن عقيدتهم سيكونون وبالا على أمتهم ، لأنهم من المذبذبين : لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، وسوف يندمون ويتحسرون ولكن بعد فوات الأوان ، وضياع الشباب الذى هو أغلى شىء عند الإنسان . ومع ذلك فهم لا يحصلون علما ولا يكسبون دينا ومن هنا يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى   فأرشدنى إلى ترك المعاصى

وأخبرنى بأن العلـــــم نور   ونور الله لا يهدى لعاصى

والحياة يعيشها الإنسان بين فرح وترح ، وسعادة وشقاء ، ولكن المؤمن فى خير على الدوام ، لأنه مع الله الذى يكشف بلواه ويخفف آلامه ويسكب الطمأنينة فى قلبه ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن : ١١]

إن الإسلام ليس ثوبا يلبس هنا ويترك هناك ، ولكن الإسلام عقيدة لابد من إظهارها ، والإعلان عنها ، وإتيان مستلزماتها . وكذلك الكف عن الأشياء التى نهانا ربنا عنها ، فهناك الخمر بأنواعها ، لأن الإسلام حرم الخمر وحرم بيعها والاتجار فيها وصنعها ، وكذلك القمار بكل

أنواعه ، لأن بعض الألعاب التى هى قمار أيضا قد يخدع الإنسان فيها ، ويلاحظ أن كتب الجنس وأفلامه تصور فى كل ذلك نماذج معينة ، وقصدهم ترويج بضاعة رخيصة عن طريق تحريك الغرائز وتهييج المشاعر وإيقاظ الشهوة ليربحوا هم المال ، ويخسر الشباب الصحة وتتحطم نفوسهم على عتبات باب يجر إلى الفقر والضياع والخسران ، لأنه قيل " بشر الزانى بالفقر ولو بعد حين " والله سبحانه وتعالى يقول ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء : ٣٢] والرسول ﷺ يقول : « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن . ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن» .

والإنسان على نفسه بصير وبوصفه خبير ، فمن عصم نفسه عن تلك الخطايا وحاول كسب العلم النافع والاستفادة من تجارب الآخرين ثم عاد إلى أمته يصوغ ما تعلم ، ويقول ما استفاد ، والتحم مع مجتمعه ، وعمل على رقيه ، فذلك الشاب الصالح النافع الذى يفخر به الإسلام ويعتز ويكافئه الله سعة فى الأفق وتذليلا للصعاب . ولذا يجدر بكل أب أن يقدم الوصية لولده ، وأن يقوى عقيدته وأن يعطيه المصل الواقى من الانحراف . وخير علاج يأخذه الشاب معه فى رحلته هو سلامة العقيدة وتقوية العزيمة والتمسك بالأخلاق . وكل ذلك موجود فى كتاب ربنا موضح بين طياته . وإذا صادف الشباب تلك الصيحات التى يرددها بعض الناس على أنها مذاهب جديدة أو أفكار حديثة فإنها مذاهب قديمة تولى القرآن الرد عليها ولكنها صيغت الآن بلغة العصر ، واقرأ فى كتاب

الله سورة الأنعام ففيها الرد على تلك الأفكار التى تزعم أنه ليس هناك إله ، أو ليس هناك بعث ، فعندما تقرأ سورة الأنعام ستجد الرد الكافى على تلك الأفكار كذلك بعض المذاهب الاقتصادية التى قد تستهوى بعض الشباب ، فإن الإسلام هو دين النظام الاقتصادى الذى لم تعرف الدنيا إلى يومنا هذا أفضل منه . وبعض الناس يحلو لهم الحديث عن الأسرة ونظام الزواج والطلاق وتعدد الزوجات ، ثم يلمزون لجهلهم ويفخرون ، فيخدع البعض بمعسول الكلام ، ولكن عندما تقرأ سورة النساء ستجدالتوضيح الكافى الذى يشفى نفسك ويقحم خصمك ويؤيد وجهة نظرك فى الدفاع عن دينك الذى هو خاتم الأديان السماوية . والقصد من تشريعاته هو إسعاد الإنسانية . إن شبابنا وهم يقبلون على إجازة الصيف ويحاول بعضهم السفر ، نصيحتنا لهم أن يزوروا ريفنا العظيم ويترددوا على آثار بلادهم وما خلفه لنا السابقون ، ويتعرفوا على تاريخ أمتهم الإسلامية التى قادت الدنيا بالأمس القريب ، وحكمت بالعدل بين الناس أجمعين .

إن المسافر يعد العدة ويجهز الحقيبة ويأخذ الزاد ، وهذا أمر ضرورى ولكن أهم من ذلك هو التسلح بالعقيدة ، وأخذ كتاب الله ، واقتناء كتب التاريخ ليكون الشاب سفير أمته ولا ينسلخ عن عقيدته ولا ينغمس فى شهوات الحياة حقيقة ليس أفضل من الدين سلاح ومن الأخلاق زاد

وكنت أرى بعض الشباب يتعلم منى ويقدم لى شيئا عن دينه يطلب منى أن أقرأه ، فإذا ناقشته كانت نهاية حديثه أنه يفعل ذلك ابتغاء وجه الله الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما ، وكان يستحوذ على

فكرى منهجه فأتذكر دعاة الإسلام فى الصدر الأول الذين فتحوا البلاد بلا سيف ولا حرب، بل كانوا تجاراً يرحلون من بلد لبلد عرضا لتجارتهم وسعيا وراء المكسب الحلال ، لأن الله أحل البيع وحرم الربا ، وكانوا إذا حانت صلاتهم اتجهوا إلى الله فى خشوع وخضوع تاركين البيع والشراء ، فإذا ما انتهت الصلاة أقبلوا على الناس يبيعون بأمانة ويتكلمون بالصدق ويظهرون عيب بضاعتهم إن وجدت ويحسنون الخير

وهكذا كانوا نماذج صالحة ، فكان الناس يسألونهم عما يعملون ، فيقولون : نعبد الإله الواحد الديان ، فيألفهم الناس لحسن أخلاقهم وصدقهم فى الحديث وأمانتهم فى البيع ، وهكذا . فلنكن نحن دعاة إلى الخير بأفعالنا وأقوالهم . لقد انتصر هؤلاء على أنفسهم فانتصروا فى غزو القلوب ، ولم يتأثروا بغير عقيدتهم ، وهكذا . فلنكن نحن دعاة إلى الخير بأفعالنا وتمسكنا بمبادئنا . ولو أن المسئولين عن الشباب أقاموا أسبوعا يتجمع فيه الشباب المسافر قبل سفرهم ، وتم حوار مفتوح فى القضايا الفكرية التى تشغل بال الشباب ، واستمعوا إلى الإجابات الشافية وخاصة الأمور الدينية ، فإذا عادوا تم نفس اللقاء لتبادل الآراء فيما رأوا وما سمعوا بفكر مفتوح وعقول تريد أن تصل إلى حل لمشاكل الشباب التى تأتى فى أفكارهم من الخارج لتوصلنا إلى حلول كثيرة ، ولذلك أوجه الدعوة للغيورين على شبابنا للدعوة إلى لقاءات مفتوحة بلا تهيب ولا خوف إلى عقد ندوات للشباب قبل سفرهم لإعطائهم الزاد الروحى النقى الذى يصقل نفوسهم ويشد أزرهم ويساعدهم فى الدفاع عن دينهم وعقيدتهم .

إن الإسلام هو دين الحضارة ، ومبادئه هي أصول السعادة ، ومنهاجه هو أفضل المناهج التي يتحقق الخير للإنسانية بأسرها عند الأخذ به والسير على هداه .

فيا شباب الإسلام - بلا تهيب ولا خوف - ليحاول كل منكم أن يسأل ويتقصى عن الحقائق ، لأن الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق الناس بها . والله سبحانه وتعالى يقول ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل : ٤٣] .

المواصــــلات

قال سائلى من الشباب : أتعرف أن الإسلام له رأى فى المشاكل الفكرية وهى حقيقة تتفق مع النفوس الطيبة والقلوب النقية والفطرة السليمة . لكن نحن نعيش فى مجتمع تلح علينا مشاكل مادية تفرض نفسها علينا وتجعلنا نتساءل هل يا ترى للإسلام من هذا رأى ؟ . . وهل إذا عرضنا تلك المشاكل على الإسلام نجد لها حلا يتناسب مع مقتضيات الظروف ومجريات الأمور فى المجتمع ؟ . . فقلت . . أريد تحديد تلك المشاكل التى ترونها تعرض نفسها على المجتمع ولنطرح مشكلة تلو الأخرى ولنأت بالحلول مما جاء به الإسلام كتشريع إلهى نزل من عند رب العالمين على خاتم الأنبياء والمرسلين ليحكم به خير أمة أخرجت للناس .

قال سائلى : فى مجتمعنا اليوم مشكلة تتعقد يوما بعد آخر . . إنها مشكلة المواصلات ونحن نرى أن الإنسان منا يكاد يختنق داخل المواصلات ويتعطل عن عمله ولا يصل فى الميعاد المحدد .

قلت لسائلى : أريد أن تفهم يا عزيزى أن الإسلام جاء لينظم الأمة ويهذب الناس ويقوم الأخلاق ويأخذ بيد الإنسانية إلى الطريق المستقيم

ثم إنه ترك لأفراد المجتمع أن يؤسسوا حياتهم ويبنوا مجتمعهم على حسب ما فيه مصلحتهم مع الالتزام بالمنهج الأخلاقى الذى رسمه القرآن الكريم وبينت الشريعة حدوده ، ومع هذا فتلك المشكلة التى نطرحها ـ الإسلام اليوم يحلها فعلا عن طريق التعاون والإيثار والتضحية ، ولنا فى رسول الله أسوة حسنة ، فإن القرآن الكريم عندما تنزلت آياته كان من

بين تلك الآيات ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة : ٢] . فكان المسلمون يتعاونون مع بعضهم الغنى يعطى الفقير ، والقوى يأخذ بيد الضعيف ، والعالم يعلم الجاهل . ورسول الله ﷺ كان يركب حمارا ويأخذ وراءه بعض الصحابة يحملهم معه على دابته ، ولقد كانوا فى غزوة من الغزوات وكان ما معهم من المطايا ما يعادل ثلث عدد الجيش ، فكان كل ثلاثة يمتطون جملا ، وكان مع رسول الله ﷺ على بن أبى طالب وشخص آخر ، وقد قالا لرسول الله ﷺ : اركب أنت ونمشى نحن . فقال لهما : لستما بأقوى منى ولست أنا بأغنى منكما عن الأجر والثواب . ولعل هذه الصورة توضح لنا أن أزمة المواصلات حدثت فعلا فى صدر الإسلام ، ولكن المسلمين تغلبوا عليها بتعاونهم ، فكان كل واحد يتعاون مع أخيه ، وأن يكون الفرد فاهما للصالح العام ، وأن يجند نفسه لمد يده إلى إخوانه والأخذ بيدهم ، وأن يضع مقدراته فى خدمة أبناء مجتمعه . وهذا ما يهدف إليه الإسلام من تربية الفرد على الخلق القويم ، وقد وضع له إطارا محددا لكافة الخدمات التى يقدمها بأنها فى "سبيل الله" ودائرة هذا السبيل واسعة جدا لأن من واجب المؤمن أن يتفاعل مع إخوانه فى مجتمعه . فلا يطعم وغيره جائع ، ولا يأمن وغيره خائف ، ولا يركب وحيدا فى سيارته وهو ينظر إلى الناس منهم المريض ومنهم الملهوف ثم لا يأخذ بيد هؤلاء . لقد أنجب الإسلام وتخرج فى مدرسته رجال كانوا مع إخوانهم نعم الصحبة ونعم العون . ولقد ضرب لنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مثلاً رائعاً على مدى مسئوليته والتحامه بالناس واهتمامه بأمورهم حتى قال فى خطبة من خطبه «والله

لو أن بغلة فى العراق عثرت لوجدتنى مسئولا عنها أمام الله يوم القيامة لم لم أسولها الطريق». إن هذه وإن كانت مسئولية أولى الأمر أن يرصف الطريق، وأن تختفى المطبات منه، فهى تبين لنا عمق الفهم والإدراك للواجب عند الإنسان المسلم الذى يخاف من المسئولية فيتقن صنعته ويؤدى واجبه ويمد يد العون إلى إخوانه . إن رسول الله ﷺ كما جاء فى صحيح مسلم قال " من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له " ومعنى هذا أنه من كان بجواره مكان فى سيارة أو مكان فى قطار فليأخذ بيد أخيه وليفسح له بجواره لأنه من كان معه فضل أى بقية من مكان فليقدم ذلك طائعاً إلى الذى فى حاجة إلى هذا المكان .
والحديث يرشد ويوجه الناس لو أنهم فقهوه وتعلموا منه أن يكونوا عونا لبعضهم ، وأمتنا فى حالتها الراهنة لو أنها نظمت نفسها ووضعت من التعليمات ما يتفق مع تطورها وحالتها لحلت تلك المشكلة التى هى بلا شك طارئة لظرف معين ووقت محدود فنحن نلمس أن "التاكسى" سعة خمسة راكب يجلس فيه شخص بمفرده وفى طريقه أشخاص يلوحون بأيديهم ويعترضون الطريق أمام السائق ولكن دون جدوى ، وكأن الرحمة قد نزعت من القلب ، وكأن الذين يلوحون ليسوا من بنى البشر ، هذا كما أننا نلاحظ أن بعض "الأتوبيسات" تمر فى الشوارع ومقاعدها تزيد على العشرين وهى خالية وعليها علامة ترمز إلى الخصوصية ، وقد نراها وهى تعبر من محافظة إلى أخرى ، فلو نظمت هذه العملية ووضعت تعليمات محددة بضرورة ركوب كل الركاب فى الطريق المحدد لسيرها دون انحراف إلى اليمين أو الشمال مع دفع الأجر المناسب لخف

الضغط وما يقال فى «الأتوبيس» يقال كذلك فى «التاكسى» الذى به مقاعد خالية . . وهناك همسة فى أذن الذى يركب السيارة الملاكى نقول له : ما الذى يمنعك فى مساعدة أبناء وطنك خاصة إذا كنت تسير فى مكان آمن وترى علامات على الشخص الذى يشير لك بأنه فى حاجة ملحة إلى نقله من هذا المكان . . وبهذا يا شباب تحل المشكلة عن طريق تحريك عوامل الرحمة فى قلب الإنسان وكذلك إيجاد روح التعاون بين الأفراد . هذا مع وضع بعض التعليمات لأصحاب الضمائر الخربة والنفوس العفنة والعقول التى هيمن عليها التبلد وعدم الإحساس بالمسئولية والواجب ، ونحن نعلم أنه لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى ، وأن المجتمع المتحضر هو المجتمع المتحاب المتعاطف ، ولهذا قال رسول الله ﷺ فى حديث له يثنى على الأشعريين ، فيقول " إن الاشعريين إذا أوغلوا فى الغزو أو فنى زادهم أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم فى ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم فى إناء واحد بالسوية فهم منى وأنا منهم " ، أرأيت تلك الروح الطيبة من هؤلاء الناس الذين كانوا يتعاونون إلى أبعد حد فى التعاون كل واحد منهم يقدم ما عنده إلى أخيه طيبة بذلك نفسه ، راض بذلك قلبه ، وهؤلاء لهم الحسنى عند الله يبارك لهم فى أموالهم وعافيتهم ويرفع منزلتهم يوم القيامة وصدق الله العظيم ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلاَ يَرْهَقُ وَجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلاَ ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَات جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللهِ مِنْ عَاصِم كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وَجُوهُهُمْ قِطَعاً مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِماً أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّار هُمْ

فيهَا خَالدُونَ﴾ [يونس : ٢٦-٢٧] . ونضرب مثلاً لأصحاب القلوب المتحجرة الذين لا تلين عواطفهم للملهوفين ويتبجحون وهم يسيرون فى الغى والضلال والتسلط والعلو - بأصحاب الجنة الذين هم مجموعة من الناس كانت لهم أرض منزرعة بالفواكه والثمار ، وكان أبوهم من الصالحين الطيبين فكان يعطى للفقراء وللأيتام من الثمار والفواكه ، فلما مات أراد هؤلاء أن يمنعوا نصيب الفقراء ، وأن يضنوا بحق اليتامى ، وخططوا لهذا العمل الإجرامى وبيتوا أمرهم ووحدوا كلمتهم ولم يستمعوا إلى رأى الرجل الطيب فيهم الذى ذكرهم بالله وبحق الناس فى أموالهم ، ولما بيتوا أمرهم على الشر أهلك الله زرعهم وحل الدمار على بستانهم ، وهذا جزاء المفسدين . واقرأ هذا فى سورة القلم حيث يقول الله ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلاَ يَسْتَثْنُونَ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ أَن لاَّ يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ قَادِرِينَ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ عَسَى رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْراً مِّنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾[القلم : مِن١٧-٣٤] .

إن المجتمع الفاضل هو الذى يتعاون أفراده على الخير خاصة المجتمع

المسلم الذى يؤسس على العقيدة ويبنى بالفضائل ويدعم بالأخلاق وقد جاء قول الحق سبحانه ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ [الماعون: من٤-٧] . وقد قال ابن عباس : الماعون هو ما يحتاج إليه الناس كالمنجل والفأس وما شاكل ذلك ، فالناس الذين يمنعون هذه الأشياء عن جيرانهم يكون لهم الويل فما بالك بالذى يمنع المقعد عن الإنسان ولايقدمه إليه ولا يتعاون معه ، فهذا يكون عذابه أشد . إن الإسلام نظام كامل للحياة يهدف إلى رقيها وينشد الخير لأبنائها ويفتح مجال الخير أمام سكن المجتمع ليعيش الجميع فى محبة وسلام .

فإذا كانت هذه مشكلة تعترض طريقكم اليوم فلأن الناس لم يأخذوا بمنهج الإسلام ولم يحاولوا الاقتباس من هدى نبى الإسلام ، ولو أن أمتنا فى حاضرها رجعت إلى هدى نبيها لحلت مشاكلها وسعد أبناؤها وصدق الله العظيم : ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] . ورسول الله ﷺ يقول: « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» وبالله التوفيق .

النظر فى الكون

ينشأ الشاب بين أحضان أبويه وتقع عيناه عليهما . ويبدأ فى محاكاتهما وتقليدهما لأنهما ألصق الناس به وأقربهم إليه . ومن هنا يقول الرسول ﷺ : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " .

ومضمون هذا أن كل مولود يولد صفى النفس نقى القلب ليس عنده أى انطباع عن أى شىء ولا ميول لأى شىء إلا أنه على الفطرة الخالصة التى صانه الله عليها . . من سلامة القلب وسمو النفس والتعلق بالملأ الأعلى ، وهنا يبدأ دور الأب والأم فى التوجيه والصياغة .

فإن كان الأب صاحب ميول طيبة وعقيدة سليمة وقناعة واستقامة أخذ بيد ولده إلى ذلك ، وإذا كان منحرف السلوك له ميول وهوى فإنه يجر ابنه إلى الهاوية ويؤصل فى نفسه ما عنده من نزعات ولذا يقول الشاعر :

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... على ما كان عوده أبوه

ويقول آخر . . .

الأم مدرسة إذا أعددتها ... أعددت شعبا طيب الأعراق

لهذا كانت القدوة الحسنة ترفع شأن أتباعها ، ولذلك حثنا القرآن الكريم أن نلتمس الأسوة ونأخذ القدوة ونسير على نهج نبينا الكريم لأنه النبى المبعوث بالرسالة المخاطب من السماء المنزل عليه الوحى ، يقول الله تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً﴾ [الأحزاب : ٢١] .

ومنهاج الله واضح وهديه بين ، فإذا غابت القدوة وافتقد الإنسان الأسوة الحسنة وكان الجو المحيط به فاسدا فإن العقل عندئذ هو المنقذ ، إن استعمله الإنسان فى التفكير السليم والتمحيص الدقيق قاده إلى الخير وأوصله إلى السعادة المنشودة واستقرار النفس وراحة البال .

والإسلام عندما كرم الإنسان كرمه لعقله ورفع شأنه بسببه ولذلك ورد فى الأثر "لما خلق الله العقل قال له : أقبل ، فأقبل ، ثم قال له : أدبر ، فأدبر . قال الله وعزتى وجلالى بك أحاسب وعليك أعاقب" .

إن العقل السليم يقود الإنسان إلى الرشاد ويهديه سبل الخير ويوصله إلى بر الأمان . ومن هنا قال الحكيم الخبير : ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران : ١٩٠] . أى لآيات لأصحاب العقول المميزة والبصائر النيرة .

والقرآن الكريم - وهو المنهج الإلهى للإنسانية فى مسيرتها - ضرب لنا مثلاً كريماً لشاب نشأ فى بيئة فاسدة ويحيط به الانحلال العقائدى من كل جانب ، وهنا وقف ينظر حوله ويتلفت فى الكون الذى هو آيات تدل على قدرة الله الفائقة وحكمته العظيمة فى الإبداع والخلق والتكوين ، وهذا ما أشار إليه الشاعر :

وفى كل شىء له آية ... تدل على أنه الواحد

والشاعر الآخر الذى نظر فى الكون فأعجبه ما فيه مما دعاه أن يخاطب أصحابه ليلفت نظرهم إلى ما رآه :

يا صاحبى تقصيا نظريكما ... تريا وجوه الأرض كيف تصور

تريا نهارا مشمسا قد شابه ... زهر الربى فكأنما هو مقمر

هذا الإبداع التصويرى جعل الشاب ينظر ويتأمل ويسأل نفسه إن هذا الكون الذى يسير بدقة رائعة وحكمة فائقة ليس وليد الصدفة ولم يوجد اعتباطاً ، وإنما هناك حكمة من وراء ذلك وتأمل فى ثلاثة أشياء :

النجوم : وهى التى تظهر فى الليل منتشرة فى الكون معلقة فى الفضاء يراها الرائى فيظن أنها فى السماء وهى مسخرة مقدر لها سيرها ، لا تنحرف يميناً ولا شمالاً ، وليست تستطيع أن تعرف نفسها بل هى جرم من الأجرام المنيرة ، وحكمة الله اقتضت أن تطلع من المشرق ثم تسير فى مدارها حتى تغيب عن الأبصار .

القمر - وهو مثل النجوم ولكنه أكبر منها حجماً .

الشمس : وهى أكبر من الجميع .

﴿لاَ الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلاَ اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٤٠] . هذا الشاب الذى فكر فى كل ذلك هو إبراهيم عليه السلام الذى وضح الصورة وبين بالعبارة ما فيه فساد قومه ، وأنه أولى بهم أن يستعملوا عقولهم ويفكروا بها . وإبراهيم كان يعيش فى مجتمع يعبد الأصنام ويتقرب إليها ويتوسل لها لأنها فى زعمهم تقربهم إلى الله وكانوا يقولون ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى﴾ [الزمر : ٣] . وهذا فهم خاطىء فالله سبحانه قريب من الناس جميعاً ليس بينه وبين خلقه وسطاء قال تعالى : ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

ولما رأى إبراهيم ما عليه قومه من فساد العقيدة وسوء السلوك بدأ

يسلك مسلكا منهجيا فى الاستدلال على وجود الله الخالق وفساد ما هو عليه فقال لقومه مناظرا لهم : إن الأصنام لا تنفع ولا تشفع لكم عند الله لأنه فى يوم القيامة تسأل تلك الآلهة المزعومة ويوجه لها ما قاله القرآن ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ من دُون الله فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادي هَؤُلاء أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْماً بُوراً فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفاً وَلاَ نَصْراً وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَاباً كَبِيراً﴾ [الفرقان : من١٧ -١٩] .

ولما بين إبراهيم لقومه أن عبادة الأصنام خطأ وجهل كأنه قال لهم إن كان ولابد فعليكم بعبادة الملائكة ليشفعوا لكم وهذا ضلال كذلك ثم قال لهم وكان الليل قد أطبق عليه واشتد ظلامه وظهرت النجوم فى الفضاء منتشرة توحى بتناسق عجيب ورأى من بين الكواكب كوكبا زاهيا لامعا ، فقال مشيرا إليه : " هذا ربى " واطمأن الناس لذلك إلا أن الكوكب سرعان ما أفل وغاب فقال إبراهيم إن الإله لا يغيب وما دام هذا قد غاب فليس برب يعبد وارتفع القمر بعد ذلك فى كبد السماء وأرسل ضوءه الفضى إلى الأرض يغمرها وينير جنباتها ، فقال إبراهيم : " هذا ربى " ، فلما أفل قال لقومه : إن هذا ليس بإله كذلك لأنه غاب ، وهذا دليل على عجزه وعدم قدرته فى الاستمرار والإله لابد أن يستمر باقيا لأنه مهيمن على كل المخلوقات ، ظاهرة قدرته ، بين أثره . ولهذا فأنا أعلن أنه ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ القَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام : ٧٧] . وهذا حوار عقلى عملى فى البيئة وأمام الجميع . وبعد

لحظات أشرقت الشمس منيرة وهى أكبر من النجم والقمر وأكثر إضاءة، فلما أفلت قال ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨]. لأن النجوم غابت وكذا القمر وكذا الشمس فهى آلهة لا تنهض بالواجب عليها لأن الإله لا تأخذه سنة ولا نوم ولا يغيب عن علمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وما دامت الكواكب أفلت فأنا ﴿لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦]. ولكنى ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩]. إننى أتجه بعبادتى إلى خالق هذه الأشياء ومخترعها ومسخرها ومقدرها ومدبرها وهو الذى بيده مقاليد الأمور ثم صاح فيهم ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثاً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

إن هذا الحوار العقلى الممتع الذى اتبعه إبراهيم مع قومه واستعمل فيه عقله الذى وصله إلى نهاية المطاف وكان رائعاً فى التنويه والرد على قومه الذين حجروا على عقولهم ولم يستعملوها فى التفكير المنظم الموصل إلى المعرفة الحقة والاستبانة الواضحة، يقول الله مبينا ذلك فى سورة الأنعام ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لاَ أُحِبُّ الآفِلِينَ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغاً قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ

وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام: من ٧٥-٧٩] .

إن الإنسان لابد له أن يستعمل فكره الذى وهبه الله ليوصله إلى الخير العظيم . ونحن نعلم أن الإسلام ما قال عن شىء : نعم . وقال العقل : لا . وما قال الإسلام عن شىء : لا ، وقال العقل : نعم . ذلكم لأن الإسلام يتفق مع ميول العقل ومتطلباته ، لأن القرآن كلام الله المنزل على نبيه المكلف بتبليغه إلى الناس الذين أمروا أن يعملوا بما فيه ويطبقوا شريعته على أنفسهم اعتقادا وسلوكا . وخالق الإنسان هو أدرى بما يصلحه وأعرف بما يرفع قدره ويعلى شأنه ويبوئه المكانة السامية فى دنيا الناس وتحت الشمس . والشباب هم أصغى الناس نفوسا وأطهرهم أفئدة وأرقهم قلوبا وهذا نموذج فريد فى البحث العلمى الذى يوصل إلى نتائج باهرة تلجم المعاند وتوضح الطريق لطلاب المعرفة وعشاق الحقيقة .

وإذا كان رب العزة يقول فى الحديث القدسى الذى رواه مسلم فى صحيحه " إنى خلقت عبادى حنفاء " أى أن أصل خلقتهم على النقاء والصفاء والطهارة الروحية ، وأنهم على الفطرة السليمة والسجية المستقيمة ، ومع ذلك فإن الله بحكمته لم يتركهم إلى عقولهم وحدها لأنها ربما تنحرف وتضل وتتردى ، فكان من حكمة الله سبحانه أن أرسل الرسل وأنزل الكتب لتكون الطريق واضحة والحجة بالغة ، ليهلك من هلك عن بينة ، وفى نفس الوقت لئلا يكون لأحد على الله حجة يوم القيامة .

ولما كان بعض الناس لا يقتنعون بالدليل النقلى والنصوص المنقولة ويصرون على الدليل العقلى فإن الله سبحانه ذكر لنا العديد من هذا الأسلوب الذى سلكه قادة الإنسانية وهداة البشرية وأساتذة العالم ، وقد سجل الله لنا الكثير من هذا الحوار ليكون لنا نبراساً نهتدى به ونستعمله فى محاوراتنا ، وسيدنا إبراهيم عليه السلام رائد من رواد الخير وطلاب الحقيقة أعطانا هذا النوع من التفكير العقلى والإثراء الفكرى ليكون زادا لشبابنا وقوة دافعة لهم إلى تعميق الفكرة وتوضيح المنهج بحجج مبينة وأمور واضحة وأسلوب منبسط وأشياء منظورة ليست عن العيون غائبة ولكنها أمام الخلق مرئية ، ولما كان الكون بما حوى هو ملك لله لا سلطان لأحد على أى شىء فيه فإنه أولى أن يتوجه إليه الفرد بالعبادة يلوذ به ويدعوه ويسير على منهجه الذى رسمه . قال الله تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو القُوَّةِ المَتِينُ﴾ [الذاريات : من ٥٦-٥٨] .

إن أمتنا اليوم وهى تنهض من كبوتها وتصحو من غفلتها مما لاشك فيه هنا تيارات تفد عليها من معسكرات الشرق أو الغرب ، وهذا التيار يحمل بين طياته أفكاراً مذهبية أو نحلاً فكرية يقصد من ورائها إيجاد بلبلة عقائدية ، ولكن تراثنا والحمد لله مازال يمد الفكر بالأصالة المنهجية والتسلسل المنطقى الهادف البناء ليرد على كل فكرة وافدة أو مذهب وضعى من صنع البشر ، فإذا ما تصفحنا قرآننا الكريم وهو كتاب الوجود بأسره فإنه يفصل لنا الرد وكأنه نزل لساعته ليرد على ما يقال على الشفاه الآن ، وصدق رسول الله ﷺ حيث قال " ستكون فتن كقطع الليل المظلم قالوا : وما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : كتاب الله ، فيه نبأ من

قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ونوره المبين ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ، من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى الى صراط مستقيم " .

فيا شباب الأمة خذوا حذركم وقوا أنفسكم واسترشدوا بهدى ربكم ﴿وَمَن يُؤْمِنْ بالله يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن : ١١] .

واجعلوا القرآن زادكم إلى كل طريق تبتغون فيه الخير فمن اتخذه زادا له قاده إلى الجنة فى الآخرة ، والسعادة فى الدنيا ، ومن أصدق من الله حديثاً؟

الرفق بالحيوان

لما كان الشباب أرق الناس أفئدة وألينهم قلوبا وهم فى حاجة إلى توجيه بالرفق وإرشاد باللين ونصح مصحوب بحلم فإن الواجب على علماء الدين أن يفتحوا صدورهم للشباب يقدمون إليهم الموعظة الحسنة ويبينون لهم ما غمض عليهم من أمر دنياهم ودينهم لأن الشباب هم أكثر الناس تساؤلا عن كل ما يدور حولهم فى المجتمع ويريدون ربط ذلك بالدين لمعرفة مدى مسايرة الدين لتطور المجتمع ومجريات الأحداث فى البيئة .

ولقد جاءنى أحد الشباب يسألنى قال : نرى المجتمعات الأوربية تهتم بالحيوانات اهتماماً كبيراً فتقيم الجمعيات التى تتولى الرفق بالحيوانات وتقديم الطعام والعلاج المناسب وفى بلاد الإسلام نرى القسوة والظلم ينزلان بالحيوان مع تحميله فوق طاقته وقد يكون الحيوان مريضاً يترنح فى الطريق بينما صاحبه يرفع يده بالسوط ويهوى به عليه وأحيانا نرى صاحب الحيوان يصلى فى المسجد . فهل يا ترى الإسلام فعل مثل ما فعلت الدول الأوربية أم أنه ترك الأمر لصاحب الحيوان ؟

قلت لصاحبى : يجب أن نعلم جميعاً يا أخى أن الإسلام هو دين الرحمة . بشر بها ودعا إليها قبل أن تكون البلاد الأوربية وقبل أن تقوم حضارة فى هذه الدول . والله تبارك وتعالى هو الرحمن الرحيم وقال فى محكم كتابه : ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] . والإسلام رسالة خير وسلام وعطف ورحمة بجميع المخلوقات . يقول

الله فى بيان بعثة النبى ﷺ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] . كما أن الرسول ﷺ يعبر عن نفسه فيقول : « إنما أنا رحمة مهداة » ويقول فى حدث آخر « الراحمون يرحمهم الرحمان ، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » كما أمر الإنسان أن يكون رحيما ورفيقا فى كل أموره فيقول نبى الإسلام « لن تؤمنوا حتى ترحموا . قالوا يا رسول الله كلنا رحيم . قال : إنها ليس برحمة أحدكم صاحبه ، ولكنها رحمة العامة» .

إن الغلظة فى القلب والقسوة فى الفؤاد تبعد الإنسان عن رحمة الله . ففى الحديث : «أن أبعد الناس من الله تعالى القاسى القلب» .

وفى حديث آخر : « من لا يرحم من فى الأرض لا يرحمه من فى السماء» .

وإذا كان الإنسان منا مطالبًا أن يرحم الإنسان فهو كذلك مطالب أن يرحم الحيوان لأن الرفق بالحيوان أمر مطلوب من المسلم . وتأمل فى هدى النبى ﷺ فى توجيهه وإرشاده للرجل الذى قال له يا رسول الله : «أنى لأرحم الشاة أن أذبحها» .

فيقول الرسول ﷺ لهذا الرجل الذى رق قلبه على الحيوان " إن رحمتها رحمك الله " وعمر بن الخطاب وهو من الرعيل الأول رأى رجلا يسحب شاة برجلها ليذبحها فقال له : " ويلك قدها إلى الموت قوداً جميلاً " .

ولقد كان رسول الله ﷺ يقص على الصحابة بعض الأحداث التى وقعت لأناس من البشر والنتائج التى ترتبت عليها فيقول ﷺ دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش

الأرض " إن القسوة فى قلب المرأة دفعت بها إلى النار والقسوة على ماذا على قطة . وهذا تعليم لنا لنتعلم الرفق بالحيوان الأعجم . وهناك حديث عن الرسول ﷺ « أن امرأة بغيا رأت كلبا فى يوم حار يطوف ببئر قد تدلى لسانه من العطش فنزعت له موقها (خفها) لتسقيه فغفر لها به» .

ولقد نهى النبى ﷺ أن تصبر البهائم - أى تحبس حتى تموت - وهذا من التعليم والتوجيه والإرشاد لبنى البشر جميعاً . فأولى بالمسلمين أن يتعلموا هذا الأدب النبوى الذى ينهى الإنسان عن إيذاء الحيوانات ويأمره بالعطف عليها والرحمة بها . ولقد أنكر الرسول ﷺ على رجل كوى وجه حماره بالنار . فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « رأى رسول الله ﷺ حمارا موسوم الوجه فأنكر ذلك . قال : والله لا أسمه إلا أقصى شماء من الوجه . وأمر بحماره فكوى فى جاعرتيه فهو أول من كوى الجاعرتين » . رواه مسلم والجاعرتان ناحية الوركين حول الدبر . والموسوم أى المعلم بالكى فى وجهه وفى رواية أخرى « لعن الله الذى وسمه » . ونهى عن الضرب على الوجه وعن الوشم فى الوجه . وهذا النهى من نبى الإسلام عن حرق وجه الحمار أو قطع شىء من أعضاء الوجه يرشدنا إلى أن - نتخلق بهذا الخلق الإسلامى لنكون من المؤمنين الصادقين الراحمين المرحومين .

لقد دخل عليه السلام المدينة ذات يوم فمر بفتيان من قريش قد اتخذوا طائرا غرضا لهم يرمى بالنبل والحجارة حيا فقال عليه السلام : «لعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا » ومعنى هذا النهى عن اتخاذ ما فيه الروح غرضا لما فيه من تعذيب الحيوان من غير سبب شرعى . وتعالوا بنا

نقف أمام هذه القصة العظيمة التى ترشدنا إلى هذه الرحمة العامة لأن الإسلام كما قلت هو دين الرحمة والسلام . يروى المؤرخون أن عمرو بن العاص فى فتح مصر نزلت حمامة على فسطاطه - خيمته - فاتخذت من أعلاه عشا وحين أراد عمرو الرحيل رآها فلم يشأ أن يهيجها بتقويض فسطاطه فتركه رحمة بها وبدأ العمران يكثر من حوله وسميت المدينة بعد ذلك باسم " الفسطاط " . وعمر بن عبد العزيز الخليفة الأموى العادل نهى عن ركض الفرس إلا لحاجة ، وأنه كتب إلى صاحب السكك ألا يحملوا أحدا بلجام ثقيل ولا ينخس بمقرعة فى آخرها حديدة . . وكتب إلى واليه بمصر بلغنى أن بمصر نقالات يحمل على البعير منها ألف رطل فإذا أتاك كتابى هذا فلا أعرفن أنه يحمل على البعير أكثر من ستمائة رطل . . والمعنى أنه بلغ عمر أن بمصر يحملون البعير أكثر من طاقته فأمر بتخفيف الحمل أولا ونهى عن ضربها بالمقرعة التى بها حديدة .

إن الإنسان منا تأخذه الدهشة وهو يستعرض حجج الواقفين الذين أوقفوا أموالهم فى سبيل الخير وتقديم الطعام إلى المحتاجين وهناك وقف باسم الكلاب الضالة التى ليس لها صاحب استنقاذا لها من الجوع . أفتفعل الحضارة الغربية يا أخى مثل ذلك .

إن الإسلام الذى أقام من نفس الإنسان مراقبا وحارسا عليه ألا وهو الضمير الذى يجعل الإنسان يراقب ربه فى عمله وسلوكه ويجعله يقدم الطعام إلى الحيوان الذى تحت يده ولا يجيعه لأنه إن منع الطعام عن الحيوان وأخره فإنه يحاسب على ذلك أمام الله ويسأل ويقتص منه لهذا الحيوان الأعجم أن هذا الدين هو دين الرحمة والإحسان .

يقول ﷺ : « ما من إنسان يقتل عصفورا فما فوقها بغير حقها إلا يسأله الله عنها يوم القيامة . قيل يا رسول الله : وما حقها ؟ قال : حقها أن تذبحها فتأكلها ولا تقطع رأسها فترمى بها » .

وفى رواية عن النسائى أيضا عن الشريد رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول : «من قتل عصفورا عبثا عج إلى الله يوم القيامة - اشتكى إلى الله بصوت عال - يقول : يارب إن فلانا قتلنى عبثا ولم يقتلنى منفعة» .

لقد كان الرسول ﷺ يعلم الناس الرفق بالحيوان ويضرب لهم الأمثال الواقعية يكون الوعظ أنفع وأبلغ ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فانطلق لحاجته فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجاءت الحمرة فجعلت تعرش فجاء الرسول ﷺ فقال : «من فجع هذه بولديها ؟ ردوا ولديها إليها »ورأى قرية نمل قد حرقناها فقال : «من حرق هذه ؟ قلنا : نحن قال : أنه لا ينبغى أن يعذب بالنار إلا رب النار » .

إنه الأدب النبوى الذى أمرنا أن نتخلق به وأن نتعلم من هديه لأننا إن أطعنا الرسول اهتدينا إلى الخلق الفاضل والرحمة والسلام لقد كانت الحيوانات تشكو إلى نبى الرحمة وكان يعرف كلامها فيأمر بالإحسان إليها . من ذلك ما رواه يعلى بن مرة قال : بينما نحن نسير مع النبى ﷺ إذ مررنا ببعير يسقى عليه فلما رآه البعير جرجر - رفع صوته - ووضع جرانه فوقف عليه النبى ﷺ فقال : « أين صاحب هذا البعير ؟ فقال بعنيه» أى قال الرسول لصاحب البعير : بعه لى : فقال لا . بل أهبه لك وأنه لأهل بيت مالهم معيشة غيره . فقال أما إذ ذكرت هذا من أمره فإنه

شكا كثير العمل وقلة العلف فأحسنوا إليه» ولقد مر رسول الله ﷺ ببعير قد لصق ظهره بطنه فقال : «اتقوا الله فى هذه البهائم المعجمة فاركبوها صالحة وكلوها صالحة » .

هذه بعض تعاليم الإسلام فى هذا المجال وهى كثيرة جدا . فلو أننا خضنا فى أعماق التاريخ لوجدنا أن المسلمين فى مختلف العصور كانت الرحمة تسيطر عليهم لأنهم يراقبون الله أولاً وكانوا يتعاملون بالرفق فى أمورهم لأن الرفق مادخل فى شىء إلا زانه وإذا كانت أوربا أو غيرها تعمل على إنشاء جمعيات الرفق بالحيوان فهذا هدف إنسانى نبيل وشىء يتفق مع الفطرة الإنسانية السليمة فإن فعلوا ذلك فبدافع الإنسانية والشفقة وهو عمل كريم بلا شك .

أما المسلمون فمع أن هذا عمل كريم فإن الإسلام يأمرهم به ويحثهم على فعله ويدعوهم إلى تطبيقه فى مجتمعهم وقدوتهم فى ذلك هو النبى ﷺ . فإن أهملوا أو قصروا فليس العيب فى الإسلام ولكن العيب فى التطبيق وهذا راجع إلى جهل بعض المسلمين بتعاليم دينهم . فعلينا أن نعلمهم وأن نرشدهم إلى الخلق الحسن والرحمة والشفقة والرفق بالحيوان ، أن نقول لمن يصلى ويقسو على الحيوانات : كما إنك مطالب بالصلاة التى هى عمود الدين وأساس الإسلام فأنت كذلك مطالب بالرحمة التى هى شعار الإسلام والمسلمين وعلامة المقبولين ودليل الفائزين بالسعادة فى الدنيا وفى الآخرة بالحسنى وزيادة .

قال سائلى : الآن استبان وجه الحقيقة واتضح لى ما كنت أجهله من عظمة الإسلام ورحمته الشاملة التى أضفاها على جوانب الحياة .

الشباب والحياة العصرية

فى الآونة الأخيرة زارنى بعض الشباب وكانوا يحملون ورقة بها أسئلة يريدون أن يتعرفوا على رأى الإسلام فيها وطرحوا أول سؤال مضمونه .

ما رأى الإسلام فى ارتداء الشباب للملابس الخليعة وإطالة الشعر وتعليق السلاسل الذهبية فى الرقاب أو أساور حول اليد ؟ .

وقد أجبتهم قائلاً . . الإسلام هو دين الفطرة جمع بين الروحانية والمادية . الدين والدنيا فى إطار واحد قال الله تعالى : ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ وَلاَ تَبْغِ الفَسَادَ فِي الأَرْضِ إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ المُفْسِدِينَ﴾ [القصص : ٧٧] . فبين الروحانية المغرقة والمادية المفرطة تبرز النظرة الإسلامية وسطا بين هذا وذاك ، ونحن نعلم أن المادية الجسدية إذا انغمس الإنسان فيها كان مثله كمثل الحيوان الأعجم الذى يعيش على الأكل واللذة وفى مثل هذا ورد قول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ﴾ [الأعراف : ١٧٩] .

كما أن الروحانية التى يكون من شأنها إهمال الحياة أمر يتنافى مع مهمة المسلم فى المجتمع ولقد عاب الله على قوم ابتدعوا لأنفسهم رهبانية عزلتهم من الحياة وركبها ، قال تعالى : ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ فَمَا

رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [الحديد: (٢٧)].

ومن هنا يتبين لنا أن الإسلام كما أنه دين مسجد هو كذلك دين الشارع وكما أنه مصحف هو كذلك عمل فى مصنع لأن الله تعالى أراد للحياة أن تنطلق فى مسارها بخلافة بنى آدم فيها ، لذلك رأينا رسول الله ﷺ ينهى قوما أرادوا أن يقلدوا فكان أحدهم يريد أن يصوم الدهر ، والثانى يريد أن يعتزل النساء ، والثالث يريد أن يصلى ليلا ونهارا ولا يرقد ، فجاء التوجيه النبوى من رسول الله ﷺ بقوله : "إن لجسدك عليك حقاً" .

والجسم وعاء ، فعلى المؤمن أن يبقى نظيفا فى الباطن والخارج لأن سلامة الجسم به يستطيع الإنسان أن يمارس العبادات التى أمره الله بها ، والرسول ﷺ يقول : "المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" .

وتعالوا بنا نقف أمام ما طرحتموه بعد هذه المقدمة بالنسبة للملابس الخليعة .

إن البيئة لها دخل فى سلوك الإنسان وقد تختلف البيئة من مكان إلى مكان والذى نشأ فى بيئة معينة تعارف أهلها على زى معين بألوان معينة وتتوارث الأجيال هذه التقاليد ويسيرون عليها فالإسلام ينظر إلى هذا العرف لا يحلله ولا يحرمه ما دام لم يتعارض مع نص صريح من كتاب الله أو سنة نبيه أو إجماع الأمة وليس فى الإسلام زى معين يفرضه على أتباعه وإنما حدد العورة بالنسبة للرجل من السرى إلى الركبة فيجب على

الرجل ستر هذا الجزء بملابس تمنع تحديد العورة وتفصيل جسم الإنسان . أما بالنسبة للمرأة فإن جسدها عورة فيجب عليها ستر جسدها بأكمله ما عدا الوجه والكفين بملابس فضفاضة بحيث لا تكون ضيقة تحدد أجزاء الجسم وذلك يتنافى مع تعاليم الإسلام . هذا هو الأساس أولاً ستر العورة المحددة فى الشرع حسبما يتفق للإنسان بأى نوع من الأقمشة تتناسب مع البيئة وظروفها الاجتماعية ومع تطور البشرية ورقيها زادوا فى الملابس قطعة قطعة وتعددت أنواعها فمن سروال إلى جلباب إلى عباءة إلى حلة "بدلة" وقد يلجأ بعض الشباب تخفيفا فى الحر إلى ارتداء بنطلون وقميص . والإسلام لا يفرض رأيا معينا ولكنه يطالب الشاب أن يلبس ما يتفق وظروف بيئته وما اتفق عليه أهل محلته . فإن كانوا يلبسون القمصان المشجرة فهو زى متعارف أو غير ذلك فليس هناك اعتراض وكذلك الفتاة وهنا نقطة الارتكاز . فالإسلام يطالبها بالاحتشام وعدم إبداء الزينة وتغطية سائر الجسد والله تبارك وتعالى يقول ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف : ٣١-٣٣] .

ولكن يبقى هناك أمر آخر وهو ألا تتشبه المرأة فى لبسها بلبس الرجل وكذلك الرجل لا يتشبه فى لبسه بلبس المرأة . فعن رسول الله ﷺ أنه

لعن الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لباس الرجل . وكذلك ورد أن رسول الله ﷺ قال : « أربعة لعنوا فى الدنيا والآخرة ولعنتهم الملائكة رجل جعله الله ذكرا فأنث نفسه وتشبه بالنساء وامرأة جعلها الله أنثى فتذكرت وتشبهت بالرجال والذى يضل الأعمى ورجل حصور ولم يجعل الله حصورا إلا يحيى بن زكريا وحصور أى مبالغ فى حبس نفسه عن الشهوات » .

والملاهى المباحة شرعا مثل الزواج والترفيه عن النفس بالأمور المعقولة وورد كذلك أن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة لا يدخلون الجنة أبدا . الديوث والرجلة من النساء ومدمن الخمر قالوا يا رسول الله أما مدمن الخمر فقد عرفناه فما الديوث قال : الذى لا يبالى من دخل على أهله قلنا ما الرجلة من النساء قال التى تتشبه بالرجال » .

نخلص من هذا إلى أن الذى تعارف عليه أهل المجتمع بأنه خاص للنساء فى لونه وصناعته لا يليق بالشباب أن يلبسوه لئلا يجعل ألسنة الناس تتناولهم بالتجريح وتتعرض لهم باللوم « ومن وضع نفسه موضع الشبهة لا يلومن إلا نفسه » .

وكذلك على المرأة أن تحتاط فى زيها فلا تلبس ملابس الرجال حتى لا تكون عرضة للقيل والقال وتتناولها الألسنة وتكون محل ريبة فى نظر الجميع .

والإسلام يريد للناس أن يعيشوا فى أخوة تامة ومحبة عامة ليس بينهم ما يوجب الريبة أو يكون سببا فى إيجاد الضغينة لهذا وضع الحدود وبين الأمور بمنهاج واضح وصريح أما مسألة الشعر وتطويله فهذا أمر

يتعلق بشخص الإنسان إن أطاله مع تنظيفه وتسريحه وتحسينه ووضع الطيب عليه فهذا أمر من سنة رسول الله ﷺ قال فى شرح المصابيح لم يحلق النبى ﷺ فى سنى الهجرة إلا فى عام الحديبية وعمرة القضاء وحجة الوداع ولم يقصر شعره إلا مرة واحدة . . وقد سئل الإمام أحمد عن الرجل يتخذ الشعر قال سنة حسنة لو أمكننا اتخذناه كان للنبى ﷺ جمة بضم الجيم وشد الميم شعر الرأس يصل إلى المنكبين ويستحب أن يكون شعر الإنسان على صفة شعر النبى ﷺ فقد كان له مشط يسرح به شعره ويقوم بترجيله وتسريحه أما الذى يترك شعره ثائرا منكوش الشعر فقد حدث أن رجلا دخل على النبى ﷺ وهو ثائر الرأس واللحية فأشار إليه رسول الله ﷺ كأنه يأمره بإصلاح شعره ولحيته ففعل ثم رجع فقال رسول الله ﷺ : " أليس هذا خير من أن يأتى أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان " وقد دخل رجل على النبى ﷺ وله شعر طويل فلما رآه قال : ذباب . . ذباب يقول الرجل فرجعت فجززته ثم أتيته من الغد فقال لى ألم أعنك وهذا أحسن ، من هذا يتبين أن تطويل الشعر مسألة من وجهة نظر الإسلام ليس فيها تحريم ولا كراهة إلا إذا كان الشعر ثائرا ويجعل منظر الإنسان مخيفا كأنه شيطان هذا بالنسبة للرجل أما بالنسبة للمرأة عليها أن تترك شعرها ويحرم عليها وصل شعرها بشعر آخر وهذا الحكم ينسحب على الشباب وهذا ما نسميه بلغة العصر الباروكة وكذلك ما يستعمله بعض أهل الريف من وصل شعورهم بالصوف فقد ورد أن النبى ﷺ زجر المرأة التى تصل برأسها شيئا قال الحنفيون ومالك : الوصل ممنوع سواء وصله بشعر أو بصوف . ويقول الشافعى : إن

وصلت شعرها بشعر آدمى فهو حرام وإن وصلته بشعر نجس من غير آدمى فهى تحمل نجاسة وإن وصلته بشعر طاهر من غير آدمى "كالشعر الصناعى" ولم يكن لها زوج فهو حرام أيضا وقد ورد عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت يا رسول الله إن لى ابنة عروسا أصابتها حصبة فتمزق شعرها أفأصله فقال لعن الله الواصلة والمستوصلة يقول الإمام أحمد والإمام الليث الوصل الحرام مختص بوصل الشعر بالشعر لما فيه من التدليس واستعمال المختلف فى نجاسته هذا بالنسبة للجنسين وأحب أن أوضح لكم يا شباب أن ما قلناه فى مسألة اللبس بالنسبة للبيئة والمجتمع والأمور المتعارف عليها فهذه أمور ينبغى مراعاتها وعدم إغفال رأى الناس خاصة فيما درج عليه الناس وتعارفوه ولما كنا فى مجتمعنا هذا قد تعرفنا على تقصير الشعر بالنسبة للرجل فيجب مراعاة ذلك أدبا وذوقا وتمشيا مع المجتمع بما لا يتعارض مع رأى الإسلام أما لبس الذهب سواء كان أساور أو سلاسل فإنه يحرم على الرجال استعمال الذهب فعن رسول الله ﷺ أنه نهى عن استعمال الذهب بالنسبة للرجل وأباحه بالنسبة للنساء فقد أمسك الذهب والحرير فى يديه وقال هذان حرام على ذكور أمتى حلال لإناثها والله تبارك وتعالى يقول : ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: ١٨] .

لقد جعل الحلية من شيمة المرأة ومن طبيعتها لتتزين بذلك لحليلها .

لهذا فإن استعمال الذهب محرم لأن فيه نوعا من الترفيه والتعالى والكبرياء وإدخال الغرور على نفس الإنسان والرجل اجتماعى بطبعه

يغشى المجالس ويتردد على المساجد ففى لبسه للذهب كسر قلب الفقير الذى لا يجد ما يأكله بينما يتحلى هذا بالذهب فى رقبته ويده وإذا كان بعض الشباب يلجأون إلى وضع السلاسل فى رقابهم فهذا أمر غير مرغوب فيه وغير مألوف وهو تقليد أعمى نسأل الله لشبابنا العافية والبعد عن التقليد الأعمى المضر بالأخلاقيات والذى يجر إلى المفاسد وخلاف هذا أحب أن أضع أمامكم نقطة أساسية وهى سنن الفطرة يقول الله تعالى ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٢٤] .

والكلمات التى ابتلى الله بها إبراهيم هى الطهارة وهى عشر خصال خمس فى الجسد وخمس فى الرأس . أما التى فى الجسد فتقليم الأظافر وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل أثر الغائط والبول بالماء وأما التى فى الرأس فقص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس . وإذا كانت هذه سنن الفطرة التى فطر الله الناس عليها فلا يليق بإنسان الخروج على تلك الفطرة والبعد عن أمور الدين زاعما أن يساير التيار الحضارى ويمشى فى ركب التقدم ونحن لا نمنع أن يسير التطور فى طريقه وأن يصل إلى أبعد مدى ولكن الذى نخشاه أن يفسر التطور على حساب الدين والأخلاق والآداب .

فإن الدين وما يتبعه من تعاليم خلقية وأدبية إنما هو من وحى الله وشرعى لكل عصر وزمان والدين هو الذى فتح للعقل الإنسانى آفاق الكون لينظر فيه وينتفع بهذا التطور ليصل بحياته إلى أقصى ما قدر له من تقدم ورقى وليس هناك تعارض بين الدين والدنيا ولكن التعارض جاء نتيجة عدم فهم الدين فلنحاول يا شباب أن نتفهم أمور ديننا خاصة ونحن على أبواب إجازة الصيف

الوقت أمامنا متسع والمساجد مفتوحة والعلماء فيها والكتب موجودة تملأ المكتبات فعلينا أن نتزود بالثقافة الدينية التى تقوى عقيدتنا وتنهض بعزائمنا وتوطننا على تحمل المسئولية وعدم التهرب من الواجب الملقى على عاتقنا تجاه أمتنا وهى تبنى مجدها التليد وتنهض من كبوتها .

فإذا سافر بعضنا إلى الخارج فليكن رسول خير يحمل الدعوة إلى الله على لسانه بالكلمة والقدوة وإذا كنا فى ميدان أمتنا وعلى ساحة أرضنا أرض جمهوريتنا فلنعمل عملا بناء يكون من شأنه المساهمة الإيجابية فى دفع عجلة الحياة والنهوض بالأمة .

قال سائلى من الشباب هل يجوز للمسلم أن يستمع إلى الغناء المصحوب بالموسيقى وهل يجوز للمسلم أن يرتاد المسارح ودور السينما وقد أصبح ذلك منتشرا فى مجتمعنا ؟ .

إن الشباب فى حيرة لعدم معرفة موقف الإسلام من هذا اللون فأجبته على ذلك قائلاً : إن الإسلام دين واقعى يعايش الإنسان على أرض الحقيقة ولا يحلق به فى أجواء الخيال . . وهو يعامل الناس على أنه بشر خلقوا من طين وركبت فيهم الغرائز والنفس الأمارة بالسوء وهم قد خلقوا للفرح والمرح يأكلون ويشربون وينامون ويستيقظون ويعبدون ربهم كما أمرهم ويستمتعون بطيبات الحياة الدنيا التى يقول فيها ربنا ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف : (٣٢)] . وقد روى الإمام مسلم فى صحيحه أن الصحابى الجليل حنظلة الأسيدى وكان من كتاب رسول الله ﷺ قال : " لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار حتى كانا رأى عين فإذا خرجنا من عند الرسول ﷺ (عافسنا) أى لاعبنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا . قال أبو بكر : فو الله إنا لنلقى مثل هذا . قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله . قلت : نافق حنظلة يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ : وما ذاك ؟ قلت يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار حتى كانا رأى عين ، فإذا

خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيرا .
قال رسول الله ﷺ : والذى نفسى بيده ـ أن لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فراشكم وفى طرقكم ـ ولكن يا حنظلة ساعة وساعة وكررها ثلاث مرات ـ والذى يؤخذ من هذا الحديث أن الإنسان العابد المتبتل الخاشع يبش الناس ويبتسم لهم ويمتزج معهم فى حياتهم وقدوته فى ذلك هو رسول الله ﷺ الذى كان يصلى ويطيل الخشوع والبكاء ثم هو يمازح أصحابه ولا يقول إلا حقا ، ولقد كان ﷺ يحب السرور وما يجلبه ويكره الحزن وما يدفع إليه ، وكان من دعائه «اللهم أنى أعوذ بك من الهم والحزن وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» .

ومن هذا يتبين لنا سماحة الإسلام والتحامه مع الحياة وليس هناك تنافر بين الدين والدنيا لأن الدنيا مزرعة الآخرة ، ومن هنا كان من اللهو المباح الذى تطرب له القلوب وتنعم به الآذان الغناء والإسلام يبيح الاستماع إليه إذا كان بألفاظ عفيفة مهذبة لا تخدش الحياء ولا تحرض على إثم ولا تدعو إلى فحش أو خيانة . هذا على أنه إذا اقترن الغناء بأشياء محرمة كتداول الخمر فى المجلس أو ظهور امرأة أجنبية لترقص فإن هذا محرم لا يجوز للإنسان أن يحضره أو أن يجلس فى مجلسه وكذلك لا يجوز تضييع الوقت بحيث يمتد السهر إلى قبيل الفجر فيكون من وراء ذلك النوم بالنهار وضياع الصلاة وعدم إقامتها وهذا شىء منهى عنه يدخل فى دائرة الحرمة لأن الله تعالى يقول : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي

لَهْوَ الحَديث لِيُضِلَّ عَن سَبيل الله بغَيْر علْم وَيَتَّخذَهَا هُزُواً أُولَئكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [لقمان: ٦] . كما أنه لابد فى طريقة أداء المغنى أن يبتعد عن التكسر والتميع وتعمد الأثارة للغرائز لأن هذه الأمور تجر إلى الضرر

وقد روى ابن عباس رضى الله عنهما قال : زوجت عائشة ذات قرابة لها من الأنصار فجاء رسول الله ﷺ فقال : أهديتم الفتاة ؟ قالوا : نعم قال أرسلتم معها من يغنى ؟ قالت : لا . فقال رسول الله ﷺ : إن الأنصار قوم فيهم غزل فلو بعثتم معها من يقول أتيناكم أتيناكم فحيانا وحياكم " وتأمل فى كلمات رسول الله ﷺ التى تدخل السرور على القلب بألفاظ مشرقة تدعو إلى الاستقبال الطيب للعروس التى تزف .

وعن عائشة أيضا رضى الله عنها أن أبا بكر دخل عليها وعندها جاريتان فى أيام منى " أى فى عيد الأضحى " تغنيان وتضربان والنبى ﷺ متغش بثوبه فانتهرهما أبو بكر فكشف النبى ﷺ عن وجهه وقال : " دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد " .

إن المناسبات السارة والأيام الطيبة يستحب فيها إشاعة السرور ترويحا للنفس حتى لا تمل القلوب وتسأم ، ومن المعلوم أن اللهو البرىء يقوى القلوب والنفوس على مواصلة السير فى طريق الجسد .

ومن هذا يقول الإمام على كرم الله وجهه «إن القلوب تمل كما تمل الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة » ويقول ﷺ : «روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا كره عمى» ومن هنا كان رسول الله ﷺ يمزح «ولا يقول إلا حقا» .

فمن ذلك أن امرأة عجوزا جاءته فقالت : يا رسول الله ادع الله لى أن فيدخلنى الجنة . فقال لها : يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز .

وانزعجت المرأة وبكت ظنا منها أنها لن تدخل الجنة ، فلما رأى منها ذلك بين لها غرضه بأن العجوز لن تدخل الجنة عجوزا بل ينشئها الله خلقا آخر تدخل الجنة شابة بكرا وتلا عليها قول الله : ﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً﴾ [الواقعة : ٣٥-٣٧] .

إن الترويح عن النفس باللهو المباح لا بأس به على ألا يستغرق ذلك الوقت كله فينشغل به الإنسان عن الواجبات ويهزل فى موضع الجد وهذا تضييع للوقت الذى هو كالسيف إن لم يقطعه الإنسان بالعمل الجاد المثمر قطع رقبته ، بل إن الوقت هو رصيد الإنسان فى حياته ، ولهذا قيل : أعط الكلام من المزاح بقدر ما يعطى الطعام من الملح . ومن هنا يتبين لنا أن الإسلام لا يحرم الغناء المقترن بالموسيقى ما دام القصد من ورائه الترويح عن النفس بألفاظ جادة وبأسلوب لا تميع فيه وقد سمح النبى ﷺ لأهل الحبشة أن يلعبوا فى مسجده ووقف ينظر إليهم ومعه أم المؤمنين عائشة ويقول لهم : دونكم يا بنى أرفده . وقد ورد عن كثير من الصحابة والتابعين أنهم سمعوا الغناء ولم يروا بأسا لسماعه .

أما السينما والمسرح « دور الخيالة » والتمثيل فهى تمثل فى مجتمعنا دورا هاما من أدوار التوجيه والترفيه . . فلو أصلحنا ما يعرض فيها لارتفعنا بمستوى تفكير شبابنا وكل من يتردد عليهما . لأنه فى الإمكان أن يستعملهما فى الخير ونتخير لهما من روائع القصص التى تهدف إلى تدعيم القيم وتأصيل الأخلاق الطيبة والصفات الحميدة فى نفوس المشاهدين لأن الحكم عليهما من وجهة الحل والحرمة يكون بتحسب ما يؤدى فيهما وما يقدم عليهما .

والشعوب دائماً تميل إلى الشىء الملموس المحسوس الذى يقدم فى

صورة حوار على أننا نرى أنه لابد من فصل المقاعد بين الذكور والإناث وعدم الاختلاط المثير بين الرجال والنساء خاصة ونحن نعلم أن المشاهدة لا تتم إلا تحت الظلام فلابد أن يكون هناك فاصل ولا يسمح بالجلوس إلا مع ذى محرم بعد التأكد من ذلك وتفهيم الناس أن الملاحقة بين الرجل والمرأة الأجنبية حرام. وقد روى الطبرانى أن رسول الله ﷺ قال: «لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» ومنعا للفتنة ودرءا للشبهة فلابد أن يكون هناك ستار بين الجنسين مع عدم رفع الأصوات بألفاظ نابية وكلمات تخدش الحياء هذا جانب أما الجانب الآخر فلا يجوز أن يمتد العرض أو التمثيل إلى وقت تضيع فيه الصلاة لأن الصلاة فرضها الله على المسلم خمس مرات فى اليوم وهى محددة بمواعيد لا يجوز تضييعها ولا تداخلها فى الوقت الآخر بقصد مشاهدة فيلم أو النظر إلى رواية يقول الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤-٥]. هذا مع الإحاطة بأن الشرط الأساسى أن ما يقدم على هذه أو تلك لابد أن يتصف بالجودة وأن يرمز إلى هدف معين وأن يخلو من إثارة الغرائز وتحريك العواطف والتحريض على الإثم والإغراء بالجريمة مع منع القبلات وعدم إبراز مفاتن المرأة وإلا كان ما يؤدى حراماً تجب مقاطعته وعدم ارتياد الدور التى تمثل هذا اللون من الأفلام أو المسرحيات.

وما نشاهده اليوم من تلك الصور العارية المعلقة فى الشوارع ومنظر الرجل الذى يحتضن امرأة أو يقبلها كل هذا منهى عنه محرم شرعاً وأخلاقاً لأن ذلك يحرض على الفاحشة والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

كذلك ما تقدمه السينما فى عصرنا يعتمد على الإثارة وتحريك الغرائز وكذلك التمثيليات فألفاظها هابطة والهدف الذى ترمز إليه منحط ولا يخدم فضيلة ولا يدعو لغرض نبيل شريف وبين الحين والحين نسمع أن هذه النصوص هى التى تعرض فقط والحقيقة أن الأدب الإسلامى وتاريخ العرب كل ذلك حافل بالبطولات وروائع القصص ولكن صناعة السينما وأدوار التمثيل يعتمدان أساساً على الإثارة والهبوط وأردت أن أوضح لكم هذا لتكون البينة أمامكم واضحة على أن الإسلام لا يعادى هذه الأشياء ولا يعلن الحرب عليها إلا إذا خرجت عن الخط المرسوم فى الإسلام وهو الحفاظ على الآداب والأخلاق وعدم تضييع العبادات وقول الحق والوصول بما يقدم إلى هدف نبيل وأمتنا فى حاجة إليكم أنتم بالذات يا شباب لتعودوا إلى فكر أمتكم وتأخذوا منه ما يلائم ظروفكم وتقدموه عملاً فنياً رائعاً يخدم القضية ويصلح الأخلاق لأن الدين لا يصطدم مع الفن ولا يعارضه إلا إذا خرج الفن عن حدود اللياقة الأخلاقية والقاعدة التى نعرفها بأن الفن ذوق وأخلاق وتجسيد أعمال من واقع الحياة بأسلوب مهذب وعبارات واضحة تسمو بالإنسان وترتفع بمستواه وتبوئه مكانة طيبة فى دنيا الناس .

إن الغناء سلاح يستعمل أساساً للترويح عن النفس لتتجدد القوة فى الإنسان فيعمل ويجد ويبتكر فإن هبطت ألفاظه ضيع الأمة وإن سمت ألفاظه وهذبت عباراته دفع بالأمة إلى الرقى والابتكار ، وكذلك ما يقدم فى السينما أو على المسرح وقد اتضحت الصورة أمامكم ـ هدانا الله وإياكم وسدد على طريق الخير خطانا وخطاكم .

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى — ١١٢٣١